جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

حسن النسق بين المعدودات الثلاثة في البيان النبوي

الدكتور

مصطفى محمد حجاب حسانين

المدرس في قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بأسيوط
جامعة الأزهر. جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الجزء التاسع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

حسن النسق بين المعدودات الثلاثة في البيان النبوي

مصطفى محمد حجاب حسانين

قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بأسيوط – جامعة الأزهر- جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : mostafahassanein.47@azhar.edu.eg

الملخص

هذه دراسة تحليلية لنمط من الحديث النبوي يشتمل على ثلاثة معدودات قد عُطِفَ بَعْضُها عَلَى بَعْضٍ في نسق يدعو إلى النظر في وجوه ترتيب المعدودات وحسن نسقها، وتأتي في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث تكشف وجوه نسق المعدودات الثلاثة في البيان النبوي: نسق الترقي ونسق التدلي، ونسق الاهتمام، ونسق التفريع، ونسق المعدودات مراعاة للطبع، أو مراعاة للفضل والشرف.

ويتضح من البحث ورود المعدودات الثلاثة المتعاطفة في البيان النبوي متناسقة، متنوعة في وجوه النسق، وهذا يكشف الكثير من أسرار حسن النسق وجماله في المعدودات الثلاثة في البيان النبوي. ومن حسن النسق جمع المحبوب إلى المحبوب؛ ليتجاور المتماثلان، مع تأخر المكروه بعدهما. كما تجاور في النسق المتماثلان في التأنيث، والمتماثلان في التذكير، والمتحدان في الوزن، فحسن النسق في مبناه ومعناه. واجتمع مع حسن نسق المعدودات محسنات بديعية كالطباق، والجناس، فازداد النسق حسنا على حسن. وأحيانا يؤخر في النسق أحد المعدودات ليجعله آخر ما يبقى في الأذهان، ويكون أولى بالإصغاء، أو ليكون الترغيب فيه أو التنفير منه – بعد تهيئة النفس بالأول والثاني– أدعى للقبول. ومن الأحاديث ما يحتمل أكثر من وجه من وجوه النسق، ومن ثم تتكاثر أسراره وفوائده، فإذا تعددت روايات الحديث – تقديما وتأخيرا بين المعدودات – تغاير وجه النسق، وكشفت سرائره ومكنون ضمائره، وهذا من ثراء البيان النبوي .

الكلمات المفتاحية : حسن النسق– المعدودات الثلاثة – البيان– النبوي.

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

Title:"Good coordination between the three numbers in the prophetic statement".

Mostafa Mohammed Hegab

Department of Rhetoric and criticism, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Assiut , Egypt.

Email: mostafahassanein.47@azhar.edu.eg

Abstract

This is an analytical study of a pattern of the Prophetic hadith that includes three numbers that have been wrapped around each other in a system that calls for consideration of the aspects of arranging the numbers and its good arrangement. And coordinate attention, and coordinate branching, and coordinate the numbers in consideration of printing, or observance of virtue and honor.

And it became clear from the research that the three sympathetic numerals in the prophetic statement are consistent, diverse in the aspects of the system, and this reveals many of the secrets of the good and beauty of the three numbers in the prophetic statement. It is a good arrangement to gather the beloved to the beloved; To juxtapose the same, with the abomination delayed after them. It also juxtaposed in the system that are similar in femininity, and that are similar in remembrance, and united in weight, so the pattern is good in its structure and meaning. And he met with the good arrangement of the numbered benefactors, such as dishes and alliteration, and the arrangement increased in goodness over Hassan. And sometimes he delays in the rhythm one of the things that are numbered in order to make it the last thing that remains in the mind, and it is more appropriate to listen, or so that the encouragement or repulsion from it - after preparing the soul with the first and the second - calls for acceptance.

Among the hadiths there are more than one aspect of the system, and then its secrets and benefits multiply. If there are multiple narrations of the hadith - preceding and delaying among the numbered ones - the face of the system is different, and its secrets and hidden pronouns are revealed, and this is from the richness of the prophetic statement.

Keywords: good grammar - the three numbers - the statement - the prophet.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم أنبيائه ورسله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه.

أما بعد،

فإن البيان النبوي نمط فريد في بيان البشر، بل هو كمال البيان البشري وأرقاه، تحوطه خصائص وسمات تجعله الأسلوب الرفيع الحائز قصب السبق إقناعا وإمتاعا، ذكر الجاحظ في وصف كلامه صلى الله عليه وسلم: " لم يَسْمع الناسُ بكلامٍ قَطّ أعمَّ نفعاً، ولا أقصَدَ لفظاً، ولا أعدلَ وزناً، ولا أجملَ مذهباً، ولا أكرَم مطلباً، ولا أحسنَ موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنًى، ولا أبين في فحوَى، من كلامه صلى الله عليه وسلم"(١).

فهو نور آخذ بحجزة نور، وضياء يتلوه ضياء، ومواقع الكلم فيه كمواقع النجوم في نظم بديع ونسق بارع، والنسق في كلامه – صلى الله عليه وسلم– كثير الفوائد والمحاسن، تبعا لاتساع التصرف فيه، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لنمط من الحديث النبوي يشتمل على ثلاثة معدودات متعاطفات، متماثلة في معنى مشترك يجمعها، وعُبِّر عنها أولا بالعدد الصريح (ثلاث) مبهمة، ثم بيَّنها مرتبة على نسق خاص في نِظَامٍ متلاحم قد عُطِفَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وأغراني بدراسة النسق بين المعدودات المتماثلات كلامُ حازم القرطاجني– وهو صريح في أنها تورد متناسقة – يقول رحمه

(١) البيان والتبيين: عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، ٢/ ١٣، ١٤ ، ط دار ومكتبة الهلال، بيروت١٤٢٣هـ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الله: "وإذا كان معنى التماثل أو التشابه منتسبا إلى شيئين أو أشياء مشتركة فيه، كان الوجه ألا يعاد ذلك المعنى مع كل واحد من الشيئين أو الأشياء، وأن يكتفى بذكره مرَّة مع أحد تلك الأشياء على نحو من العبارة يغنى بها فيه عن التكرار إيثارا للاختصار، فيقدَّم محلّ التماثل أو التشابه على الأشياء المشتركة في ذلك أو يؤخر عنها، وتورد تلك الأشياء متناسقة، وتقديمه أحسن. ويتفق على هذا الوجه أن يكون الكلام مع كونه من هذا الباب معدودا في التقسيم... وقد يتفق أن ينضاف فيه إلى التقسيم التفسير، كقول الشاعر: (من البسيط)

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتهم ∴ شمس الضحى، وأبو سحق، والقمر "(١)

فقوله: "تورد تلك الأشياء متناسقة" يثير – لدى دارس البيان النبوي– سؤالا عن بلاغة هذا النسق ووجه الترتيب فيه، فلم جعل هذا المعدود أولا؟ وذاك ثانيا (متوسطا)، وذلك آخرا، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء برأيه" ونحوه من الأحاديث التي سلك بها هذا المسلك التعبيري، وجاءت متماثلة في البناء، متنوعة في وجوه النسق، لأن مجيئها على نسق خاص يدعو إلى النظر والتأمل وإعمال العقل والفكر في الجهات التي منها لاح حسنُ النسق حين يعطف بعضها على بعض بواو النسق، على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني ص٤٦، ٤٧ طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، والبيت لمحمد بن وهيب الحميري يمدح المعتصم، وهو ضمن شعره المطبوع في كتاب " شعراء عباسيون": د/يونس أحمد السامرائي، ١/ ٧٦ ، ط عالم الكتب، بيروت، ط الثانية ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، والبيت فى تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزَّبيدي،(بلا نسبة) مادة (ش ر ق) ٢٥/ ٥٠٠ ، ط دار الهداية.

من الابتداء بالأصل معطوفا عليه الفرع، أو بالعام معطوفا عليه الخاص، أو بالسبب معطوفا عليه المسبب، أو بالأهم معطوفا عليه ما دونه، أو يكون ترتيبها على جهة الترقي أو التدلي... وكل ذلك مبني على النظر في جهة انتسابها إلى محل التماثل المذكور مع العدد المتقدم، مع عدم إغفال النظر فيما اقترن به من صفة أو خبر؛ للكشف عن وجه النسق وإبراز أسراره ومحاسنه، لكونه يقع موقعا من العقل والنفس إقناعا وإمتاعا على نحو يوافق حال المخاطب، وينقل إليك دقائق مراد المتكلم التي يهمس بها؛ ويبعث من النظم طاقات إيحائية خبيئة؛ لأن "المعاني إنما تَتبيَّنُ بالألفاظِ، وَلا سبيلَ للمرتِّب لها والجامعِ شَمْلَها، إلى أن يُعْلمكَ ما صنَعَ في ترتيبها بفِكْره، إلا بترتيبِ الألفاظِ في نُطْقه"(١).

والمنهج المتبع هنا هو المنهج التحليلي للوقوف عند وجوه ترتيب المعدودات وحسن نسقها، وبناء ثانيها على أولها، وثالثها على ثانيها، فيكون لها بداية ووسط وانتهاء، فترتيب المعاني في النفس على وجه مخصوص يقتضي أن تتنزل الألفاظ في مواقعها من النظم وفق ذلك الوجه، فيحسن توالي المعدودات بعضها إثر بعض على نسق مخصوص مراعاة لتلك الوجوه، وآثرت بالدراسة الأحاديث الثلاثية الصحيحة – التي جمعت ثلاثة معدودات متعاطفات– لأن هذا أدنى الجمع الذي تظهر في معدوداته وجوه النسق ومحاسنه؛ تنبيها بالأدنى على الأعلى. ولا شك أن الأحاديث التي حذت هذا الحذو في البناء وطريقة الإبانة أجدر بالدرس بيانا وإجلالا لبلاغته صلى الله عليه وسلم.

---

(١) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص٦٤، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وأشير إلى أن رواة الحديث حرصوا على نقل اللفظ النبوي بما فيه من خصائص بلاغية، فجاءت الأحاديث المتفقة الرواية في ترتيب المعدودات تمدنا بخصائص البلاغة النبوية في نسق المعطوفات؛ لأن اتفاقها أمارة كونها من البيان النبوي، ولست أهمل ما اختلفت الرواية في ترتيبه؛ لأنه لا يخلو من بلاغة، فإن تعدد الرواية واختلافها يحتمل أن يكون تنوعا في البيان النبوي إذا تكرر الحديث، ويحتمل أن يكون الاختلاف من الرواة في الأداء تقديما وتأخيرا كما هو مقرر عند علماء الحديث(١).

ولا شك أن جمع الروايات المتعددة للحديث يضع بين أيدينا نصا متكاملا بيانه، حتى لا يقع نقص في الدراسة إذا تركت بعض رواياته؛ لأن في ترتيب المعطوفات- مع اختلاف الرواية- بلاغة في النسق يلزم بيان جهتها، ولست بصدد ترجيح رواية على أخرى إذا كانت صحيحة مثلها.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أهمية هذا الجانب من البيان النبوي، وأسباب اختياره، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد – وفيه محوران:

المحور الأول- المراد بحسن النسق.

---

(١) للمزيد حول هذا الموضوع ينظر: الكفاية في علم الرواية: الخطيب البغدادي(ت ٤٦٣هـ)، ص٢٠٧ تحقيق: إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، وينظر: البلاغة النبوية في ضوء تعدد الروايات الحديثية دراسة منهجية: يوسف عبد الله محمد العليوي، ص٩١- ١٧٨، بحث في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، عدد٢٤، ٢٠١٢م.

المحور الثاني- واو النسق بين الدلالة على مطلق الجمع وإفادة الترتيب.

المبحث الأول- نسق الترقي ونسق التدلي بين المعدودات الثلاثة في البيان النبوي.

المبحث الثاني – نسق الاهتمام .

المبحث الثالث - نسق التفريع .

المبحث الرابع – نسق المعدودات مراعاة للطبع.

المبحث الخامس– نسق المعدودات مراعاة للفضل والشرف.

الخاتمة - وفيها أهم نتائج البحث.

- مراجع البحث.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تمهيد

قبل بيان أوجه النسق وأسراره البلاغية في البيان النبوي أبين المراد بحسن النَّسَق، مع لمحة عن واو النسق بين الدلالة على مطلق الجمع وإفادة الترتيب، ويتبين ذلك في المحورين التاليين:

المحور الأول- المراد بحسن النسق.

النَّسَق: مَا جَاءَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى نِظام وَاحِدٍ... وَالنَّحْوِيُّونَ يُسَمُّونَ حُرُوفَ الْعَطْفِ حُرُوفَ النَّسَق؛ لأَن الشَّيْءَ إِذَا عطفْت عَلَيْهِ شَيْئًا بَعْدَهُ جَرى مجْرًى وَاحِدًا، ويُقَالُ: ناسَقَ بَيْنَ الأَمرين أَيْ تَابَعَ بَيْنَهُمَا. ونَسَقُ الأَسنان: انْتِظَامُهَا فِي النّبْتةِ وَحُسْنِ تَرْكِيبِهَا، والنَّسْق: الْعَطْفُ عَلَى الأَول (١).

وفي الصحاح" نَسَقْتُ الكلامَ: إذا عطفتَ بعضَه على بعض، والتنسيق: التنظيم"(٢). فالنسق أن تعطف بعض الكلم على بعض، فإذا كانت على ترتيب محكم، في تلاحم وتتابع، كانتظام اللؤلؤ في السلك كان النسق حسنا.

وقد عرّف ابن أبي الأصبع حُسن النسق بقوله: "حُسن النسق من محاسن الكلام، وهو أن تأتي الكلمات من النثر والأبيات من الشعر متتاليات، متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً، لا معيباً مستهجناً" (٣).

وذكر نحوه ابن حجّة الحموي قائلا: "هو أن يأتي المتكلم بالكلمات من

---

(١) ينظر: لسان العرب: ابن منظور(ت٧١١هـ) ،مادة (ن س ق)، ١٠/ ٣٥٣ ، دار صادر، بيروت، الثالثة ١٤١٤هـ.

(٢) تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، مادة (ن س ق) ٤/ ١٥٥٨، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط دار العلم للملايين، بيروت، الرابعة١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٣) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ابن أبي الإصبع المصري(ت٦٥٤هـ)، ص٤٢٥ ، تحقيق: د/حفني محمد شرف، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

النثر، والأبيات من الشعر، متتاليات متلاحمات تلاحمًا مستحسنًا مستبهجًا، وتكون جملها ومفرداتها منسقة متوالية"(١).

فالمعدودات في النظم مترابطة متكاملة تُظهر تماسك البناء واتساق معانيه المتنوعة التي انتظمت في سلكِ ثلاثٍ – أو ثلاثةٍ – دون تنافر أو قلق، بل تجد ألفة ووشائج ممتدة في نسق حسن يلقى قبول النفس ويحقق إقناع العقل .

ومما يتجلى في البيان النبوي عطف موصوفِين أو صفاتٍ أو خصالٍ بطريقة مَخْصوصة في نَسَق الكَلِم بَعْضِها على بَعض، فتَنسُق ثانية منها على أولى، وثالثة على ثانية، وما كان من هذا القبيل تترتّب فيه المعطوفات ترتيباً حسنا، فيحسن أن تكون هذه سابقةً، وتلك تالية، والثالثة آخرها، فيكون لها نَسقٌ مخصوص إذا برزت المعاني في معرضه كساها إمتاعا وإقناعا، "وإنما يكونُ تقديمُ الشيءِ على الشيءِ نَسَقاً وتَرتيباً، إذا كان ذلكَ التقديمُ قد كان لِمُوجِبٍ أوْجَبَ أنْ يقدَّم هذا ويؤخَّر ذاك، فأَمَّا أنْ يكونَ مع عدم الموجِبِ نسَقاً، فَمحال؛ لأنه لو كان يكونُ تقديمُ اللفظِ على اللفظِ مِنْ غَيْر أنْ يكونَ لهُ مُوْجِبٌ "نَسقاً"، لكان يَنبغي أن يكونَ تَوالي الألفاظِ في النُّطق على أيِّ وجْهٍ كان "نَسَقاً"(٢).

ولا يمكن الفصل بين النظر في جهات انتساب المعاني بعضها إلى بعض وتمكن المفردات في مواقعها من النسق بحسب هذه الجهات وفق مراد المتكلم ومراعاة حال المخاطب، مما يبعث دلالات كامنة، أو يثير في النفس انفعالات متنوعة تتكاثر وتتنامى نتيجة ترتيب المتعاطفات على هذا النسق.

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي(ت ٨٣٧هـ) ٢/ ٣٨٨ ، تحقيق: عصام شقيو، ط دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م.

(٢) دلائل الإعجاز، ص٤٦٨ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المحور الثاني- واو النسق بين الدلالة على مطلق الجمع وإفادة الترتيب :

المتتبع لأقوال النحاة في دلالة واو العطف يجد منهم من يقول إنها تفيد مطلق الجمع ولا تفيد بذاتها الترتيب، ومنهم من يرى لها دلالة على الترتيب، قال سيبويه:"ولم تلزم الواو الشيئين أَنْ يكون أحدُهما بعد الآخَر. ألا ترى أنك إذا قلت: مررت بزيد وعمرو، لم يكن في هذا دليل أنك مررت بعمرو بعد زيد"(١).

وقال المرادي: "مذهب جمهور النحويين أنها للجمع المطلق. فإذا قلت: قام زيد وعمرو، احتمل ثلاثة أوجه: الأول- أن يكونا قاما معاً، في وقت واحد. والثاني- أن يكون المتقدم قام أولاً. والثالث- أن يكون المتأخر قام أولاً ... وذهب قوم إلى أنها للترتيب، وهو منقول عن قطرب، وثعلب، وأبي عمر الزاهد غلام ثعلب، والربعي، وهشام، وأبي جعفر الدينوري... وقد عُلِم بذلك أن ما ذكره السيرافي والفارسي والسهيلي- من إجماع النحاة بصريهم وكوفيهم على أن الواو لا ترتب- غيرُ صحيح، وقال ابن الخباز: وذهب الشافعي- رضي الله عنه- إلى أنها للترتيب"(٢).

---

(١) الكتاب: سيبويه (ت ١٨٠هـ)، ٢٩١/١، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي (ت ٧٤٩هـ)، ١٥٨/١ وما بعدها، تحقيق: فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م. وينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام (ت٧٦١هـ)، ص٤٦٤ ، تحقيق: د/مازن المبارك، محمد علي حمد الله، ط دار الفكر، دمشق، السادسة، ١٩٨٥م، ، معاني النحو: د/ فاضل صالح السامرائي، ١٨٧/٣ ، ط شركة العاتك بالقاهرة، الثانية ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

ويرى الدكتور/الخضري أن قاعدة النحاة – في كون الواو لا توجب ترتيبا بين المعطوفات – تفيد أن الواو صالحة بحكم وضعها أن تقع بين متعاطفات يمكن لأيٍّ منها أن يتقدم على الآخر، ولكن هذا لا يمنع أن يكون للمتكلم غرض في تقديم ما قدم، وتأخير ما يؤخر، طبقا لدواعي الحديث، فالترتيب لا بد أن يكون مقصودا في الكلام الفصيح، ولكن فهم ذلك لا يرجع إلى حقيقة الواو، وإنما يرجع إلى القرائن، وهمس السياق، والنظر إلى أعطاف النص، والنفاذ إلى أغراض المتكلمين، بخلاف الفاء؛ فإنها تقتضي الترتيب بحكم وضعها، وهذا ما يعطي الواو ثراء يفتح أمام البلاغيين مجالا واسعا للتأمل في أسرار التقديم بالواو ووجوه التفاضل بين الأساليب، وتلك مهمة تبدأ من حيث انتهى النحاة بتقرير قاعدتهم(١).

وبهذا يَبين أن مقصود جمهور النحاة كونُ الواو لا تفيد بذاتها ترتيبًا زمانيًا، فإن كانت الواو ليست موضوعة للترتيب– كما ذهب كثير من النحاة– فإن الترتيب الذكري بين المعطوفات لا بد أن يكون على وجه من وجوه النسق، ولا بد أن يكون من ورائه غرض مقصود، وهو ما يكشفه البحث، إذ المتكلم البليغ كثيرا ما يقدم في كلامه ما هو أهم، وهو ببيانه أعنَى، وإن تنوعت وجوه الاهتمام والعناية، فتقديم ما تقدم وتوسيط ما توسط وتأخير ما تأخر وراءه سرٌّ بلاغي تبحث عنه الأفهام، فتسطره الأقلام، لا سيما إذا كان المُبِين هو أفصح العرب صلى الله عليه وسلم.

وما ذكر من كون الواو لمطلق الجمع، ولا تقتضى ترتيبا لا ينبغي أن يُفهم منه أن المبين جمع بها معطوفات على غير ترتيب ولا نظام، فإذا كان

(١) ينظر: الإعجاز في نسق القرآن دراسة للفصل والوصل بين المفردات: د/ محمد الأمين الخضري، ١٥٣، ١٥٤، مكتبة زهراء الشرق بالقاهرة، ط الأولى١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ترتيب بعض المعطوفات على بعض جائزا ، فإن هذا الترتيب يأتي في كلام أفصح العرب قائما على أساس، ومشيرا إلى فائدة، ودالا على هدف مقصود، وتابعا لمراعاة حال النفس، فيتخير حينئذ الترتيب الكاشف. وإن كانت الواو للترتيب كما أشرت آنفا – وهو قول حسن– فإن البحث يكشف وجه النسق وحسنه في البيان النبوي، قال الخطابي: "ومن حسن بيانه – صلى الله عليه وسلم– ترتيب الكلام وتنزيله منازله"(١).

وترتيب المعطوفات هنا ناشئ من مراعاة المقاصد والمقامات، وهو مرتبط برتب المعاني، إذ يرتب الألفاظ في النظم حسب مراتبها في النفس ومنازلها من المعدود قربا وبعدا، قال عبد القاهر:"إنَّ الألفاظَ إذا كانتْ أوعيةً للمعاني، فإنَّها لا محالةَ تَتَبْع المعاني في مواقعها، فإذا وجَبَ لِمعنًى أنْ يكونَ أولاً في النفسِ، وجَب للفظ الدال عليه أن يكونَ مثْلَه أوَّلاً في النُّطق"(٢).

وعلى هذا يكون تقديم واحد من المتعاطفات على قرينيه لداع بلاغي، وهذا يأتي على أنحاء شتى يكشف البحث شيئا منها، وجدير بالذكر أن النسق يتجلى فيه ترتيب المتعاطفات وفق مقتضى الظاهر أو على خلاف ما يقتضيه الظاهر، فهو عامٌّ، وهو أشمل من التقديم الخاص بتحويل اللفظ عن مكان إلى مكان.

وقد ذكر السهيلي (ت٥٨١هـ) سؤالا وأجاب عنه فقال: "متى يكون أحد الشيئين أحق بالتقديم ويكون المتكلم ببيانه أعنى؟

---

(١) غريب الحديث: أبو سليمان الخطابي (ت٣٨٨هـ) ١/ ٦٧ ، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، ط دار الفكر، دمشق ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م.

(٢) دلائل الإعجاز، ص٥٢ .

والجواب: أن هذا أصل يجب الاعتناء به، لعظم منفعته في كتاب الله تعالى وحديث رسوله – صلى الله عليه وسلم– إذ لا بد من الوقوف على الحكمة في تقديم ما قدم في القرآن، وتأخير ما أخر، كنحو: (السمع والبصر) ...إلى غير ذلك مما لا يكاد ينحصر، وليس شيء من ذلك يخلو عن فائدة وحكمة، لأنه كلام الحكيم الخبير.

ثم يذكر أصلًا لذلك، فيقول: ما تقدم من الكلام فتقديمه في اللسان على حسب تقدم المعاني في الجنان. والمعاني تتقدم بأحد خمسة أشياء: إما بالزمان، وإما بالطبع، وإما بالرتبة، وإما بالسبب، وإما بالفضل والكمال.

فإذا سبق معنى من المعاني إلى الخَلَد والفكر بأحد هذه الأسباب الخمسة، أو بأكثرها، سبق اللفظ الدال على ذلك المعنى السابق، وكان ترتيب الألفاظ بحسب ذلك"(١).

وكلام السهيلي فتح الباب إلى ما هو أعم وأشمل، فتح أبواب البيان عن وجوه الترتيب بين المفردات المتعاطفة بالواو مع كشف أسرارها وفوائدها، "ولو أن البلاغيين التفتوا إلى ما كتبه السهيلي في هذا الموضوع – مبرزا الصلة بين الصورة التعبيرية والحركة الذهنية والوجدانية للمتكلم بحيث تجيئ الألفاظ في ترتيبها وفقا لترتيب المعاني في الفكر والوجدان– لو التفتوا إلى ذلك، لكان لهم موقف آخر من عطف المفردات"(٢).

(١) نتائج الفكر في النحو: أبو القاسم السهيلي (ت٥٨١هـ)، ص٢٠٩ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م.

(٢) الإعجاز في نسق القرآن، ص١٥٢ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

نعم أجاد السهيلي وأفاض في ذلك، وكلامه أصل في الباب، وتبعه ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) الذي يقول: "التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك مما لا يحصره حد، ولا ينتهي إليه شرح"(١). وذكر العلوي(ت٧٤٥هـ) أنه لا بد من رعاية الملاءمة في تقديم بعض المفردات على بعض لئلا يخلو عن أسرار معنوية، ودقائق خفية، يتفطّن لها أهل البراعة، فلابد من أن يكون لتقديم المعطوف عليه على المعطوف وجه يسوّغه، وإلا كان لغوا(٢).

وتنامى ذلك عند الزركشي وبعض المفسرين على نحو يدحض قول من يدعي أن القواعد البلاغية – وبخاصة في الترتيب – جرت على أساس منطقي بعيدا عن الأسرار الجمالية؛ فإن معظم أسباب الترتيب راجع إلى نواح فنية بلاغية: كالتعظيم والاهتمام والتحذير والتخويف والحث والتعجيب من شأنه... إلى غير ذلك من الأسرار العالية(٣).

ولا أدعي أولية السهيلي، فهو مسبوق بإشارات موجزة في بلاغة ترتيب المفردات المتعاطفة نحو قول أبي هلال العسكري معقبا على قول البحتري يصف نحول الركاب: (من الخفيف)

كالقسيّ المعطّفات بل الـ ∴ أسهم مبرية بل الأوتار

"وهذا ترتيب مصيب من أجل أنه بدأ بالأغلظ، ثم انحطّ إلى الأدقّ؛ وقد عيب

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) ١٨٢/٢، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

(٢) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلويّ(ت٧٤٥هـ)، ٣/ ١٧٢، المكتبة العصرية، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٣هـ .

(٣) ينظر: أسرار الفصل والوصل: د/ صبَّاح عبيد دراز، ص٣٢ ، مطبعة الأمانة بالقاهرة، ط الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

ترتيب أبى تمام فى قوله:

..... ∴ أو كالخَلوق أو كالمَلاب[١]

فبدأ بالأنفس ثم انحطّ إلى الأخسّ؛ كما تقول: هو مثل النّجم، بل الشمس؛ فترتفع من الشيء إلى ما هو أعلى منه؛ وإذا قلت: هو مثل الشمس بل القمر، بل النجم، لم يحسن"[٢] . وإنما كان هذا الترتيب مصيبا بالنظر إلى حسن النسق من جهة الرتبة لأنه ترقى – في نحولها– من الأدنى إلى الأعلى.

وجملة الأمر أن المفردة تأتي متمكنة في موضعها ملائمة لسابقتها ولاحقتها محققة بذلك نظما محكما تتجلى فيه أسرار النسق بين المتعاطفات بما تحمل من المعاني والدلالات كأنها ألوان فاقعة لا تخطئها أعين الناظرين، وربما كانت غلالات شفيفة يرمُقها أولو النظر الثاقب.

بعد هذا الذي ذكرت يَبين أن ترتيب المعدودات الثلاثة المتعاطفة في النظم يجري على نسق دقيق من مراقبة المعاني وجهات بنائها، وهو متشعب النواحي متعدد الأصول، وأشير في المباحث التالية إلى وجوه النسق على نحو يكشف لنا شيئا من براعة الترتيب وأسرار النسق ودقائقه في المعدودات الثلاثة في البيان النبوي.

---

(١) الملاب: نوع من الطيب أو هو الزعفران كما في تاج العروس مادة(ل و ب)، ٤/ ٢٢٤ ، والبيت في ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، ٤٥/٤، تحقيق: محمد عبده عزام، ط دار المعارف بالقاهرة، ط الثالثة، ورواية الديوان:

خلق كالمُدام أو كرُضاب الـ ∴ مسك أو كالعبير أو كالمَلاب.

(٢) كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) ٢٢٣، ٢٢٤ ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول

نسق الترقي ونسق التدلي بين المعدودات الثلاثة في البيان النبوي:

التدرج بالمعاني إما أن يكون على وجه التصاعد وإما أن يكون نزولا وتدليا، فالترقي "أن يذكر معنى، ثم يردف بما هو أبلغ منه"(١) أي على وجه التصاعد. والتدلي عكسه، وهو "أن يذكر الأعلى أولا، ثم الأدنى؛ لنكتة"(٢).

وذكر ابن الأثير في ترتيب الأنواع الواردة على شيء واحد أنه ينبغي أن يبدأ بالأدنى فالأدنى، فإنه إذا فعل ذلك كان كالمرتفع من محل إلى محل أعلى منه، وإذا خالفه كان كالمنخفض من محل إلى محل أدنى منه، فلو كان مقام مدح فيجب أن يرقى فيه من منزلة حتى ينتهي إلى المنزلة العليا آخرا، ولو كان مقام ذم لعكس القضية(٣).

فالأصل في النسق أن يذكرها مرتبة على وفق الظاهر ترقيا أو تدليا، فإن رتبت على خلاف مقتضى الظاهر، كان وراء ذلك داعٍ بلاغيٌّ آخر يَحْرِصُ المتكلّم على أن يشير إليه بمخالفة الترتيب.

قال الدكتور/ حبنكة: "ومن البديع لدى ذكر المتعدّدات من جنس أو نوع أو صنف واحد- إذا كان بينها تفاضل في الدَّرَجات أو المراتب- أن تُذْكر إمَّا من الأدنى إلى الأعلى ترقّياً، أو من الأعلى إلى الأدنى تدلّياً"(٤).

---

(١) التبيان في البيان: الطيبي، ص٤٩١ ، تحقيق : د/عبد الستار حسين زموط ــ دار الجيل، بيروت، الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٢) شرح عقود الجمان للسيوطي، ص١٣٥، ط دار الفكر، بيروت لبنان.

(٣) ينظر: المثل السائر ١٧١/٢.

(٤) البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، ٤٦١/٢، ط دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت- الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

وقد جاء النسق على جهة الترقي من الأدنى إلى الأعظم في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ "[١].

فقوله: (لا يحل دم امرئ مسلم) كناية عن قتله (بإحدى ثلاثٍ) خصالٍ ذكر المتصفين بها، فترقى في ترتيب الكبائر الموجبة للقتل من الأدنى إلى الأعظم،" فالتَّرْتِيب لِلتَّرَقِّي؛ إِذِ الزِّنَا دُونَ الْقَتْلِ، وَهُوَ دُونَ الارْتِدَادِ"[٢]، ويؤكد هذه الرتب التي ذكرتها مفهوم حديث ابن مسعود قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ» قلت: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ» وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ) (الفرقان: ٦٨)"[٣].

وحديث ابن مسعود قائم على التدلي في ترتيب الثلاثة وكذلك الآية المذكورة، بخلاف الحديث موضع الدراسة فإنه قائم على الترقي بينها، والإبانة عن المعاني المتقاربة في البيان النبوي تسير في طرائق متنوعة

---

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٣٠٢ برقم (١٦٧٦) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي الملا الهروي القاري(ت١٠١٤هـ) ٦/ ٢٢٥٨، ط دار الفكر، بيروت، لبنان، الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

(٣) صحيح البخاري ٨/ ٨ برقم (٦٠١)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الأولى، ١٤٢٢هـ.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ترقيا أو تدليا غير أنك لا تجد طفرة في الترقي كما لا تجد هوة في التدلي، وما أحسن النسق الذي سلم من التفاوت! وأنقل هنا عبارة حازم في هذا الشأن: "النقلة من الأدنى إلى الأعلى المفاوت طفرة، ومن الأعلى إلى الأدنى المفاوت سقوط وانحطاط "(١).

ومع ترقيه- في موجبات القتل- من الأدنى إلى الأعظم ترقى- أيضا- في البُعد من المعنى الوارد في صدر الحديث: "مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ"، فتدرج من القريب إلى البعيد فالأبعد، فالأول الزاني الذي انحرف عن كمال الإسلام بمرحلة، وساء الزنا سبيلا، والثاني قاتل النفس عمدا وهو أبعد عن الطريق بمراحل، وأبعدهم عن الإسلام والتوحيد الأخيرُ (التارك لدينه) الذي خلع ربقة الإسلام من عنقه، كما أن مقصود الشارع من الحدود حفظ الكليات ومنها: (العرض والنفس والدين)، والأخير أولاها بالحفظ، فالارتداد عن الدين ذنب ليس أشنع منه، فذكر في الختام ليكون آخر ما يبقى في الأذهان، وليكون التنفير منه - بعد التهيئة السابقة - أولى بالإصغاء. فالغرض من تأخيره - وإن كان الأهم- "استبقاءُ الذِّهْن لما هو أولى بالإيعاء، وتهيئة السمع لما هو أجدر بالإصغاء"(٢).

ثم إن الأول مما يكثر وقوعه فيستهان به لا سيما إذا غلبت الشهوة، فبدأ به زجرا عنه، وترهيبا مما ترغب فيه النفس الجموح، ودونه في كثرة

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني، ص١٠١، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان

(٢) ينظر: أصول الإنشاء والخطابة: الطاهر بن عاشور، ص٨١ ، تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط الأولى١٤٣٣هـ .

الوقوع والاستهانة القتل الذي صرح معه بكون الجزاء من جنس الفعل، وهو أصل مقرر في العقول والشرائع إذ هو مقتضى العدل، وأخر مفارقة الدين الذي خالطت بشاشته القلوب، وقلما يقع الارتداد عن الدين، لعدم تفريط المسلم في إسلامه.

وفي صحيح البخاري: " النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، والثَّيِّبُ الزَّانِي"(١)، فقدم ما هو متمكن في العقل يشهد له العقل بالصحة، ويُعطيه من نفسه أكرم النِّسبة، فهذه المثلية لا ارتياب فيها بل يتفق العقلاء على الأخذ بها، والحكم بموجبها، وهو أمر جلي ظاهر في ميزان العدل والشرائع، فبدأ به ليتلوه غيره، وهذا في الإقناع أوغل؛ فإنه إذا وقع الأول موقع القبول والتسليم لمكانه من العقل، سقى رديفه من مائه، فكانت النفس أدعى أن تنقاد لما بعده دون تردد في قبوله، فأتى النسق بادئا بالجهة التي تَنحو إلى موجب العقل، إذْ إن "دَوَاعِي الْعَقْلِ أَحَقّ بِالِاتِّبَاعِ مِنْ دَوَاعِي الطَّبْعِ"(٢).

وجاء النسق على جهة الترقي من الأدنى إلى الأشد في قوله صلى الله عليه وسلم: ثَلاثُ مُهْلِكَاتٍ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِرَأْيِهِ"(٣).

---

(١) صحيح البخاري، ٩/ ٥ برقم (٦٨٧٨).

(٢) أحكام القرآن: أبو بكر الرازي الجصاص (ت٣٧٠هـ) ٥/ ٢٩١، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٥هـ .

(٣) شعب الإيمان للبيهقي(ت٤٥٨هـ)، ٢/ ٢٠٣ برقم(٧٣١)، وهو حديث حسن، تحقيق وتخريج: د/عبد العلي عبد الحميد حامد، ط مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالنسق على وجه الترقي حيث تدرج في المهلكات من أدناها (الشح) إلى أشدها (العُجب)، ويعضد هذا النسق رواية أخرى عند البيهقي: "وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتِ: فَهَوًى مُتَّبِعٌ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَهِيَ أَشَدُّهُنَّ"(١)، ومثله عن عُمَر موقوفا: "إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِرَأْيِهِ، وَهِيَ أَشَدُّهُنَّ"(٢)، فنصبت هذه الجملة في ختام كل من الحديث والأثر قرينةً لفظية صريحة في كون النسق بني على الترقي من أدنى المهلكات إلى الأشد إهلاكا، ويتماثل المعدود الأول والثاني في البناء حيث ذكر الاسم المذموم (الشح، الهوى) وأخبر عنه باسم المفعول(مُطَاعٌ ، مُتَّبَعٌ) بخلاف الأخير حيث ذكر المصدر مضافا إلى فاعله "إِعْجَابُ الْمَرْءِ"، فكان الثاني متصلا بالأول اتصالاً يمنع من التفرقة بينهما، وغاير الثالث تمييزا له فهو"الداء العضال، وهو نظر العبد إلى نفسه بعين العز والاستعظام، ونظره لغيره بعين الاحتقار، وثمرته أن يقول: أنا وأنا، كما قال إبليس، ونتيجته في المجالس التقدم والترفع وطلب التصدر، وفي المحاورة الاستنكاف من أن يرد كلامه، وذلك مهلك للنفس في الدنيا والآخرة"(٣).

ولما كان إعجاب المرء بنفسه على نحو ما ذكر، فإن اجتنابه أشق على النفس، واقتلاعه منها عسير غير يسير، وغاية البيان النبوي هنا

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي، ٩/ ٣٩٦ برقم (٦٨٦٥) وهو حديث حسن.

(٢) المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة(ت٢٣٥هـ)، ٧/ ٥٠٣ ، برقم(٣٧٥٧٢)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط مكتبة الرشد – الرياض، الأولى، ١٤٠٩هـ .

(٣) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي، ٣/ ٣٠٦ ، ط المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الأولى، ١٣٥٦هـ ، ونسبه إلى الغزالي .

تطهير النفس من الخصال المهلكات، والوسيلة أن يتدرج من أدنى المهلكات حين يُقَدّمُها، ليُفضِي إلى أشدها في آخر الحديث، فمهد لذلك بسلب أدنى المهلكات وما زال يَسلُب أقواها فأقواهَا حَتَّى يسلبها كُلّها بهذا التَّدرج، فهذا النسق ألطَفُ مِنْ سلبِ المهلكات أقواها ثمّ أضعفِها فأضعفِهَا.

ومما بني النسق فيه على الترقي من الأقل إلى الأكثر قول النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ أَوْ يُفِيق"(١).

فقوله : "رفع الْقَلَم" كناية عن عدم التكليف، إذ التكليف يلزم منه الكتابة، فعبر بالكتابة عنه، "وعبر بلفظ الرفع إشعارا بأن التكليف لازم لبني آدم إلا لثلاثة وأن صفة الرفع لا تنفك عن غيرهم"(٢). فالعلة المشتركة بينهم عدم اعتبار الأفعال الصادرة من الثلاثة: الْمَجْنُونِ وَالنَّائِمِ وَالصَّبِيِّ وأنها لا حكم لها في الشرع، "فَجَمِيعُ هَؤُلَاءِ لَا قَصْدَ لَهُمْ، وَهِيَ الْعِلَّةُ فِي رَفْعِ أَحْكَامِ التَّكْلِيفِ عَنْهُمْ"(٣).

والنسق هنا على جهة الترقي من الأقل زمنا إلى الأكثر، فزمن النوم أدناها، وزمن الصبا والجنون يطول، فزمن الصبا يمتد سنوات، وأطولها زمنا الجنون، وقد يلازم صاحبه إلى الموت، وفي المسند:" رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَبْلُغَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمُصَابِ حَتَّى

---

(١) سنن ابن ماجه، ٦٥٨/١، رقم (٢٠٤١) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

(٢) فيض القدير: المناوي، ٤/ ٣٥.

(٣) الموافقات في أصول الشريعة: الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ١/ ٢٣٧ ، ط دار ابن عفان، الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يُكْشَفَ عَنْهُ"[١]، فبدأ بالأدنى درجة فيما يغلب العقل وترقى منه إلى الأعلى كما لا يخفى.

وخولف هذا الترتيب في رواية أبي داود فبدأ بالمجنون: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يَفِيقَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ"[٢]، ووجه النسق في هذه الرواية (التدلي) مراعاة لتفاوت درجات ما يطرأ على العقل فيذهبه أو يزيل وظائفه، فبدأ بأعلاها وأشدها وهو الأظهر في رفع التكليف عنه، بدأ بـ (المجنون) وأردفه بمن دونه (النائم والصبي)، وقد ذكروا أن الجنون: عدم العقل ونقصانه، والنوم: العجز عن استعمال نور العقل بفترة عارضة مع قيام أصله كاملاً[٣]. ولذلك وصف المجنون بالمغلوب على عقله؛ لأنه يطلق على الجنون المطبق أو المستمر، ولَيس النّائم كالْمَجْنُون؛ "لِأَنَّ الْجُنُونَ يُفْسِدُ الْعَقْلَ بِالْكُلِّيَّةِ، وَالنَّوْمُ شَاغِلٌ لَهُ فَقَطْ، فَبَيْنَهُمَا تَبَايُنٌ كَبِيرٌ"[٤]، وذكر الْفَاكِهَانِيُّ فِي شرح الرِّسَالَةِ أَنَّ الْعَقْلَ لَا يَزُولُ بِالنَّوْمِ، إنَّمَا يَسْتَتِرُ خَاصَّةً، بِخِلَافِ الْمَجْنُونِ الْمُطْبَقِ الَّذِي لَا يُفِيقُ فَإِنَّهُ قَدْ زَالَ عَقْلُهُ لَا مَحَالَةَ[٥]. وأخر الأدنى

(١) مسند الإمام أحمد ٢٥٤/٢ برقم (٩٤٠)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، ط مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(٢) سنن أبي داود، ١٤٠/٤ برقم (٤٤٠١)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

(٣) ينظر: تقويم الأدلة في أصول الفقه: أبو زيد الدّبوسيّ الحنفي (ت٤٣٠هـ)، ص٤٣٣، تحقيق: خليل محيي الدين الميس، ط دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

(٤) إبراز الحكم من حديث رُفِعَ القَلم: تقي الدين السبكي(ت٧٥٦هـ)، ص٩٨، ٩٩، حققه وخرج أحاديثه: كيلاني محمد خليفة، ط دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الأولى١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

(٥) ينظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: الحطاب المالكي (ت٩٥٤هـ)،١/ ٢٩٥، ط دار الفكر، الثالثة، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

درجة، وهو الصبي لوجود العقل عند الصبي مع نقصان وضعف فيه.

وجاء الترقي مما يستهان به إلى كبير إلى أكبر في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ" (١).

معناه إعراض الله عن الثلاثة غضبا عليهم، و(المسبل) هو المرخي إزاره خيلاء، (والمنفّق سلعته)- بتشديد الفاء- الذي يُروّج بيع سلعته، وسر الترقي زيادة الترهيب من الأخير بالتدرج مما يستهان به إلى كبير إلى أكبر، ذكر الدكتور/ محمد أبو موسى أن الثلاثة اشتركوا في ذهاب مهابة الله من قلوبهم، فالمختال المسبل نسي المنعم، والمنان نسي المنعم، وصاحب اليمين الفاجرة اجترأ على الله وهو كاذب، وكل ذلك وراء التغليظ والوعيد الشديد في الحديث(٢). وكلامه – حفظه الله- يدل على أن الثالث أشد جرما لجرأته على الله كاذبا، فملاك هذا النسق استبقاءُ ذهن السامع لما هو أولى بالحذر منه والبعد عنه، عن طريق تهيئته بالأول والثاني لما هو أجدر بالحذر فيكون آخر ما يبقى في ذهن السامع.

ففي هذا الحديث بشأن المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف يحدثنا عن ذنوب الشأن فيها أنها تتكاثر بتكاثر لوازمها وتوابعها في حياة الناس، فإنفاق السلعة باب متسع جدا، تجد فيه خلالا تشيع، وترى فيه معاصي تتكاثر(٣).

---

(١) صحيح مسلم: ١/ ١٠٢ برقم (١٠٦)، سنن أبي داود ٤/ ٥٧ برقم (٤٠٨٧) وغيرهما.
(٢) ينظر: شرح أحاديث من صحيح مسلم دراسة في سمت الكلام الأول: د/ محمد محمد أبو موسى، ١/ ٧٨، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠١٥م .
(٣) ينظر: السابق، ١/ ٨٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولا يخفى دلالة التشديد في الأخير (المنفّق) على تكلفه وتعمله، وقدم في النظم الغاية المباحة في ذاتها (المنفق سلعته) على الوسيلة المحرمة (الحلف الكاذب) ليصير حكم الغاية إلى المحرّم المذموم تبعا للوسيلة التي جرت فيها مجرى الدم في العروق وجاءت مقرونة بـ (الباء) فانصهرتا في بوتقة الحرمة.

قال الطيبي: جمع الثلاثة في قِرن واحد؛ لأن المسبل إزاره هو المتكبر المترفع بنفسه على الناس ويحط من منزلتهم ويحقر شأنهم، والمنان إنما يمن بعطائه لما رأى من فضله وعلوه على المعطَى له، والحالف البائع يراعي غبطة نفسه والهضم من حق صاحبه. والحاصل من المجموع عدم المبالاة بالغير وإيثار نفسه عليه؛ ولذلك يجازيه الله تعالي بعدم المبالاة والالتفات إليه كما لوح صلى الله عليه وسلم بقوله: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة" إلي آخره. وإنما قدم ذكر الجزاء مع أن رتبته التأخير عن الفعل؛ لتفخيم شأنه وتهويل أمر مرتكبيه في خلد السامع، فيذهب بنفسه كل مذهب، ولو قيل: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف لا يكلمهم الله، لم يقع هذا الموقع(١).

وإضافة إلى ما ذكره الطيبي عن بلاغة تقديم الجزاء على الفعل في هذا النمط من البيان النبوي فإنه من التحديد اللافت المؤثر أن يبدأ الحديث النبوي بذكر العدد : "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم"، فالسامع

---

(١) ينظر: الكاشف عن حقائق السنن (شرح مشكاة المصابيح) للطيبي(ت٧٤٣هـ) ، ٧/ ٢١١٧، تحقيق: د/عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز ، الرياض، ط الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
وفيض القدير للمناوي، ٣/ ٣٢٩.

حين يسمع هذا الأسلوب وما جرى مجراه نحو قوله صلى الله عليه وسلم: "آية المنافق ثلاث"، لا ينصرف ذهنه لأول وهلة إلى أن للمنافق أكثر من عشرين صفة يمكن إحصاؤها بسهولة، ولكنه يتتبع الأمور الثلاثة المنصوص عليها في يقظة وحرص محاذرا أن يكون على شيء منها، وكأن هذه الثلاثة تسد عليه الأفق، فإذا وجد منها انفلاتا، فقد استراح، وإذا وقف أمام بعض أبوابها، فإنه ليجتهد أن يدفعه عن وجهه، وهذا هو التأثير الجاذب لسطوة العدد يلقى في مفتتح الحديث، فهو لا محالة نوع من التحديد الفني(١).

فالمتماثلات أو المتشابهات إذا لم يمكن استيعاب جميعها، فإن ذكر أهمها أو أفضلها أو أشنعها في الغرض الذي ذكرت من أجله كافٍ لتحقيق المقصود.

وتارة يأتي النسق مبتدئا بالأخفى فالخفي فالظاهر، كما في قَوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثٍ: الكِبْرِ، وَالغُلُولِ، وَالدَّيْنِ، دَخَلَ الجَنَّةَ "(٢) .

فالنسق بني على الانتقال من الأخفى إلى الخفي إلى الظاهر، حيث بدأ بالكبر وهو ما يقع في النَّفْسِ مِن علو بنفسه على الناس واحتقارهم، وهو أخفاها، ودونه في الخفاء الثاني وهو الغلول الذي أُخِذَ خفية مِن الغَنيمةِ قبلَ أنْ تُقسَم، وأظهر الثلاثة الدَّين.

---

(١) ينظر: البلاغة النبوية: د/ محمد رجب البيومي، ط الدار المصرية اللبنانية، ط الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص٢٣٣ .

(٢) سنن الترمذي ٤/ ١٣٨ برقم (١٥٧٢) والمستدرك للحاكم ٢/ ٣١ برقم(٢٢١٨) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فتدرج من الأخفى وهو أشد خطرا، ويحتاج إلى مجاهدة أكثر ليبرأ منه الراغب في الجنة، إذ هو من مفسدات القلب، وفي الحديث: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ"(١)، ثم إن فساد القلب يتبعه فساد الجوارح، فلهذا أتبعه بفعل الجوارح (الغلول) وهو الأخذ من المال العام، ومنه دخل إلى ما تعلق بالمال الخاص (الدّين)، "والثلاثة تشترك في إيذاء الناس إما من جهة الغرض، وإما من جهة المال عمومًا أو خصوصًا"(٢).

وحين جعل الدَّين رديف الكبر والغلول كأنما غشّاه بثوبهما، فكساه من قبحهما؛ تنفيرا منه وزجرا عنه، لأنه مما يستهان به كثيرا، قال الطيبي:" وضَمّ الدَّين مع أقبح الجنايات وأشنع الأخلاق دلالة علي أنه منهما"(٣). فكان ترتيب الثلاثة من الأخفى إلى الخفي إلى الظاهر وفق ما يقتضيه الترهيب والتحذير مما يتسلل إلى القلب فيفسده، ويُفسد أفعال الجوارح، فكان النسق فيه حسنا .

وقد يعكس هذا الترتيب في البيان النبوي فينتقل من الظاهر إلى الخفي كما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ"(٤) .

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٠ برقم (١٤٦٧) .

(٢) لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح: عبد الحق الدّهلوي(ت١٠٥٢ هـ)، ٥/ ٦٠٦ ، تحقيق: تقي الدين الندوي، ط دار النوادر، دمشق – سوريا، الأولى ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤ م.

(٣) الكاشف عن حقائق السنن ٧/ ٢١٨٠ ، وينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: الملا علي القاري، ٥/ ١٩٦٢.

(٤) أخرجه البخاري ١/ ١٦، برقم (٣٣)، وأخرجه مسلم ١/ ٧٨ ، برقم ٥٩.

فجاء الانتقال من الظاهر إلى الخفي، والحديث في السلوك الظاهر؛ لأن "الآية" علامة ظاهرة لا باطنة، فبدأ من الظاهر إلى الباطن(١) . ويتضح هذا بالنظر في وجه الانحصار في الثَّلَاث، وهو التَّنْبِيه على فَسَاد القَوْل وَالْفِعْل وَالنِّيَّة. نبه على فَسَاد القَوْل بقوله: (إذا حدث كذب)، ونبه على فَسَاد الْفِعْل بِقَوْلِهِ: (إِذا اؤتمن خَان) ، ونبه على فَسَاد النِّيَّة بِقَوْلِهِ: (إِذا وعد أخلف)(٢).

فالتدرج من ظاهر إلى خفي؛ "لأن الخصال التي تقتضي المخالفة بين سر وعلانية لا تزيد على هذا"(٣).

ويشير حَازِم القرطاجني إلى الانتقال من الظاهر إلى خوافي الأشياء بقوله : "يُبْدَأُ فِي الْحَسَنِ بِمَا ظُهُورُ الْحُسْنِ فِيهِ أَوْضَحُ، وَمَا النَّفْسُ بِتَقْدِيمِهِ أَعْنَى، وَيُبْدَأُ فِي الذَّمِّ بِمَا ظُهُورُ الْقُبْحِ فِيهِ أَوْضَحُ، وَالنَّفْسُ بِالِالْتِفَاتِ إِلَيْهِ أيضا أَعْنَى، وَيُنْتَقَلُ من الشَّيْءِ إِلَى مَا يَلِيهِ فِي الْمَزِيَّةِ من ذَلِكَ. وَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الْمُصَوِّرِ الذين يُصَوِّرُ- أَوَّلًا - مَا جَلَّ مِنْ رُسُومِ تَخْطِيطِ الشَّيْءِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى الْأَدَقِّ فَالْأَدَقِّ"(٤).

ويحتمل هنا كون عطف الثاني على الأول من عطف الخاص على العام، وقد ذكر البلاغيون أن الواجب في قضايا المراتب أن يُبدأ بالعامّ قبل الخاصّ حين يذكر قَضِيَّةً كُلِّيَّةً يعطف عَلَيْهَا بَعْضَ جُزْئِيَّاتِهَا تَنْبِيهًا عَلَى فضله

(١) ينظر: شرح أحاديث من صحيح مسلم دراسة في سمت الكلام الأول، ١/ ٦٤ .
(٢) ينظر :عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ)، ١/ ٢٢١ ، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(٣) نفع قوت المغتذي على جامع الترمذي: علي بن سليمان الدمنتي البجمعوي المغربي ، ص٩٥، ط دار أضواء السلف، الرياض، السعودية ١٤٣٧هـ.
(٤) منهاج البلغاء ، ص١٠١ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أو تنبيها على كمال نقصانه حتى كأنه ليس من جنسه تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات[١] . فعطف الثاني على الأول يدل على أن أقبحَ أنواع الكذب الوعد المكذوب، ولهذا قال العيني: "فيه عطف الْخَاص على الْعَام، لِأَن الْوَعْد نوع من التحديث، وَكَانَ دَاخِلا فِي قَوْله: (إِذا حدث)، وَلَكِنه أفرده بِالذكر مَعْطُوفًا تَنْبِيها على زِيَادَة قبحه على سَبِيل الادعاء"[٢] .

نسق التدلي:

وأما نسق التدلي، فإن النظر فيه إلى منازل المعاني في ترتيبها، وتدرجها، فيقدم أفظعها، وأشنعها، وأدلها على قسوة النفس أو الفحش أو الشر، ثم يليها ما دون ذلك. ويأتي التدلي من الأعلى إلى الأدنى، ومن الأكثر إلى الأقل عن طريق الانتقال من الشيء إلى ما هو دونه في المعنى، كأن يحذر من الأسوء، فالسيء، فالذي فيه شيء من السوء، وفي هذا النسق مراعاة لحال النفس.

وجاء التدلي من الأكبر إلى ما دونه من الكبائر في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ – وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ – أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ" ، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ"[٣].

فقَوْلُهُ "ثَلَاثًا" أَيْ قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ عَلَى عَادَتِهِ فِي تَكْرِيرِ الشَّيْءِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَأْكِيدًا لِيُنَبِّهَ السَّامِعَ عَلَى إِحْضَارِ قَلْبِهِ وَفَهْمِهِ لِلْخَبَرِ الَّذِي يَذْكُرُهُ، وَفَهِمَ

(١) ينظر: الأطول: عصام الدين الحنفي(ت٩٤٣هـ)، ٢/ ٨٦، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١/ ٢٢١ .
(٣) صحيح البخاري ٣/ ١٧٢ برقم (٢٦٥٤)، وأخرجه مسلم ١/ ٩١ برقم (٨٧).

بَعْضُهُمْ مِنْهُ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: "ثَلَاثًا" عَدَدُ الْكَبَائِرِ(١).

وبدأ بالإشراك بالله؛ لأنه أكبر الكبائر على الإطلاق، وهو أكثر صور الكفر، وأشنعها، فجعل له الصدارة تحذيرا منه وتنفيرا، فهو رأس الكبائر، وما دون الشرك فهو داخل في دائرة المغفرة، ثم تدلى منه إلى ما دونه من الكبائر، فأردفه بكبيرتين مما يستهان بهما ليرشح عليهما من بشاعته وشدة جرمه مزيدا من التحذير والتخويف، فيسري منه إلى قرينيه وتاليه (العقوق، وقول الزور)، فتكون بشاعتها من جهتين أنها من جملة أكبر الكبائر، وأنها قرنت بالشرك بالله وجاءت عقبه، كما ذكر الدكتور/ محمد أبو موسى(٢). وكأنه بتقديم الأكبر(الشرك) يقطع الطريق على القادم بعده، ويغلق الباب أمام العقوق وقول الزور إذا عُلم أنهما تابعان للشرك وقريناه، خاصة أنه مما يستهان بهما ويسهل وقوعهما، ومن بلاغة ذلك النسق تهيئة النفس للنفرة مما يلي الشرك، ولو قدمهما على الشرك لما كان شيء مما ذكرت. والتابع رتبته التأخير عن متبوعه.

ويقوي هذا الوجه في ترتيبها على جهة التدلي أنه خص قول الزور بتكراره، كما خصه بمثير بصري يلفت الانتباه إلى خطره، وهو الجلوس، قال الحافظ ابن حجر:" قَوْلُ الراوي: "وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا" يُشْعِرُ بِأَنَّهُ اهْتَمَّ بِذَلِكَ حَتَّى جَلَسَ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتَّكِئًا، وَيُفِيدُ ذَلِكَ تَأْكِيدَ تَحْرِيمِهِ وَعِظَمَ قُبْحِهِ، وَسَبَبُ الِاهْتِمَامِ بِذَلِكَ كَوْنُ قَوْلِ الزُّورِ أَوْ شَهَادَةِ الزُّورِ أَسْهَلَ وُقُوعًا عَلَى النَّاسِ وَالتَّهَاوُنِ بِهَا أَكْثَرَ، فَإِنَّ الْإِشْرَاكَ يَنْبُو عَنْهُ قَلْبُ الْمُسْلِمِ، وَالْعُقُوقَ يَصْرِفُ عَنْهُ الطَّبْعُ، وَأَمَّا الزُّورُ فَالْحَوَامِلُ عَلَيْهِ كَثِيرَةٌ كَالْعَدَاوَةِ وَالْحَسَدِ

(١) ينظر: فتح الباري، ١٠/ ٤٠٩ ، ط دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
(٢) ينظر: شرح أحاديث من صحيح مسلم، ١/ ١٤٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَغَيْرِهِمَا، فَاحْتِيجَ إِلَى الِاهْتِمَامِ بِتَعْظِيمِهِ"(١).

وجاء التدلي من الأكثر إلى الأقل في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَالشُّؤْمُ فِي ثَلاَثٍ: فِي المَرْأَةِ، وَالدَّارِ، وَالدَّابَّةِ"(٢).

وللعلماء في معنى هذا الحديث مسالك : قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: هَذِهِ الْأَشْيَاءَ هِيَ أَكْثَرُ مَا يَتَطَيَّرُ بِهِ النَّاسُ، فَمَنْ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ أُبِيحَ لَهُ أَنْ يَتْرُكَهُ وَيَسْتَبْدِلَ بِهِ غَيْرَهُ ليسلم قلبه من الاعتقاد الفاسد، وقَالَ ابن الْعَرَبِيِّ: مَعْنَاهُ إِنْ كَانَ خَلَقَ اللَّهُ الشُّؤْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا جَرَى مِنْ بَعْضِ الْعَادَةِ، فَإِنَّمَا يَخْلُقُهُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، فَهَذِهِ الثَّلَاثُ أَحَقُّ بِهِ بِمَعْنَى أَنَّ النُّفُوسَ يَقَعُ فِيهَا التَّشَاؤُمُ بِهَذِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يَقَعُ بِغَيْرِهَا، وَقِيلَ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ يَطُولُ تَعْذِيبُ الْقَلْبِ بِهَا مَعَ كَرَاهَةِ أَمْرِهَا لِمُلَازَمَتِهَا بِالسُّكْنَى والصحبية، وَلَوْ لَمْ يَعْتَقِدِ الْإِنْسَانُ الشُّؤْمَ فِيهَا فَأَشَارَ الْحَدِيثُ إِلَى الْأَمْرِ بِفِرَاقِهَا لِيَزُولَ التَّعْذِيبُ (٣).

وخص هذه الثلاث بالذكر؛ لِطُولِ مُلَازَمَتِهَا، وراعى في ترتيبها الكثرة، فإن الملازمة للأول أكثر، ومن ثم يكون التشاؤم بالمرأة أكثر، ولا شك أن مفارقة الثاني والثالث بالتحول عنهما أيسرُ من مفارقة الأول، ولهذا يطول تعذيب القلب إذا تشاءم بالمرأة وتضرر بفراقها، ويسهل مفارقة الدار والدابة مع تفاوت بينهما: فمن الناس من يسهل عليه مفارقة الدابة، ومنهم من يسهل عليه مفارقة الدار، وبهذا يتضح وجه النسق في رواية مسلم –

(١) فتح الباري: ابن حجر، ٥/ ٢٦٣ ، ط دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
(٢) صحيح البخاري ٧/ ١٣٥ برقم (٥٧٥٣) .
(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر ٦ / ٦١-٦٣ .

بتقديم الفرس على الدار" لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَإِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ: الْمَرْأَةِ، وَالْفَرَسِ، وَالدَّارِ"[١] – وفق هذا التفاوت.

وسبق بيان التدلي من الأشد إلى ما دونه في حديث: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يَفِيقَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ"[٢]، مراعاة لتفاوت درجات ما يطرأ على العقل فيذهبه أو يزيل وظائفه، فبدأ بأعلاها وأشدها وأردفه بمن دونه.

(١) صحيح مسلم، ٤/ ١٧٤٧ برقم (٢٢٢٥) .
(٢) سنن أبي داود، ١٤٠/٤ برقم (٤٤٠١).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني

نسق الاهتمام:

يراعى في النسق الاهتمام بما يقدم على عادة العرب التي يقول عنها صاحب الكتاب: "كأنّهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم"(١).

ووجوه الاهتمام لا تنحصر، وذلك أن "الاهتمام قد يكون مما يقتضيه الذات، وقد يكون مما يقتضيه المقام والسياق"(٢). فتكون أهمية المقدم في النسق بالنسبة للمقام، أو لكون المقدَّم أكبر شأناً من حيث اتصاله بالغرض الذي سيق من أجله الكلام، أو لأنه أوثق صلة بغرض المتكلم، أو الأهم بالنظر إلى حال المخاطب، أو الأهم بالنسبة إلى نظم الكلام السابق، فهو أولى بالجوار رحما وقربى.

ومن وراء الاهتمام به في النسق تتحقق فوائد كثيرة ومحاسن جمة: كالترغيب في الشيء بتعظيمه أو الحَثِّ عَلَيْهِ خيفة التهاونِ به والتفريطِ فيه لو أُخِّرَ، أو للترهيب منه بالتنفير والتحقير، والتحذير منه خيفة التهاون بالوقوع فيه. أو لكون الْمَقْصُود الزجر وَتَقْدِيمُ الأول أَبْلَغُ فِي حُصُولِهِ، أو لكون المقدم أهم من جهة أنه يقطع نزاع المنازع ويلقمه الحجر قبل أن يلجَّ في الخصومة ويكابر، فتقديمه أدعى لأن يرجع إلى الحقِّ ولا يعاند... وغير ذلك من الفوائد.

---

(١) الكتاب: سيبويه ١/ ٣٤ .

(٢) حَاشِيةُ الشِّهَابِ الخفاجي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، ط دار صادر، بيروت، ٤٢٧/٧.

فمما قدم في النسق اهتماما به تقديم الماء على الكلأ والنار في قَولــه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثَلَاثٌ لَا يُمْنَعْنَ: الْمَاءُ، وَالْكَلَأُ، وَالنَّارُ"(١).

ووجه النسق الاهتمام بأمر الماء من جهة شدة اتصاله بسياق الحديث في شأن المنع من الضروريات، فهو الأشد خطرا إذا منع، فقدم الماء؛ لأنــه رأس الضروريات، فلا حياة إلا به، ومنعه عن المحتاج يفضي إلى هلاكــه، ولا شك أن الضروريات أمرها أشد، والحاجيات أمرها أخف من الضروريات إذ يمكن البقاء دون طعام، ودونهما التحسينيات والكماليات، فالماء " لَا يمْنَع عمن يخَاف على نَفسه من الْعَطش أَو مركبه، فَإِن منَعه يقاتله"(٢).

ويحتمل كون النسق على وجه السببية، فمنع الماء يستلزم منع الكلأ، كما فِي الحديث: " لَا تَمْنَعُوا فَضْلَ الْمَاءِ لِتَمْنَعُوا بِهِ الْكَلَــأَ "(٣)، "وَالْمَعْنَــى أَنْ يَكُونَ حَوْلَ الْبِئْرِ كَلَأٌ لَيْسَ عِنْدَهُ مَاءٌ غَيْرُهُ، وَلَا يُمْكِنُ أَصْحَابَ الْمَوَاشِي رَعْيُهُ إِلَّا إِذَا تَمَكَّنُوا مِنْ سَقْيِ بَهَائِمِهِمْ مِنْ تِلْكَ الْبِئْرِ؛ لِئَلَّا يَتَضَرَّرُوا بِــالْعَطَشِ بَعْــدَ الرَّعْيِ، فَيَسْتَلْزِمُ مَنْعُهُمْ مِنَ الْمَاءِ مَنْعَهُمْ مِنَ الرَّعْيِ"(٤). ومن هذا الكلأ – إذا يبس– توقد النار.

وفي هذا النسق يبدأ بالأهم من جهة تحقيق المقصود في قوله صَــلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ، مِــنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الصَّالِحُ، وَمِنْ

(١) سنن ابن ماجه ٢/ ٨٢٦ برقم (٢٤٧٣).
(٢) عمدة القاري للعيني،١٢/ ١٩٠.
(٣) صحيح البخاري٣/١١٠ برقم (٢٣٥٤).
(٤) فتح الباري لابن حجر، ٥/ ٣٢ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ: الْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ السُّوءُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ"(١).

بدأ بالأهم من جهة تحقيق المقصود وهو حصول السعادة الدنيوية، فقدم الجار (الْمَرْأَة الصَّالِحَة) على الدار(المسكن الصالح)؛ لأن الزوجة هي السكن الروحي والاستقرار النفسي، وذاك في تحقيق السعادة أهم من السكن الحسي (المسكن الصالح)، ويشهد لذلك حديث: "الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ" (٢). والأخير (المركب الصالح) فرع عن المسكن؛ لأن الغالب الإقامة، والسفر عارض، فتعلق السعادة به أدنى من سابقيه. وذكر (آدم) هنا فيه إشارة من طرف خفي إلى قصة آدم وحواء فلاءمه البدء بالمرأة إذ هي أهم أسباب السعادة أو الشقاوة والتعب، وحين صدر الحديث باللفظ المؤنث (سعادة – شقوة) صدر المعدودات باللفظ المؤنث (الْمَرْأَة)، فاقترب المتماثلان في التأنيث، وجاء بعدها (المسكن والمركب) وكلاهما مذكر مع اتحادهما وزنا فتأخرا ، وهذا نسق حسن في مبناه ومعناه. "وأساس البلاغة وقاعدة الفصاحة نظم الكلام، لا بمعنى ضم بعضها إلى بعض كيف جاء واتفق، بل بمعنى ترتيبها حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، لهذا كان عند أرباب هذه الصناعة نظيرا للنسج والوشي الصياغة وما أشبه ذلك. مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض حتى يكون لوضع كل منها حيث وضع علة

(١) مسند أحمد ٥٥/٣ برقم (١٤٤٥) وقال الهيثمي: رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْبَزَّارُ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَالْأَوْسَطِ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ. ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ٤/ ٢٧٢ برقم (٧٤٣١) تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م .

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٠ برقم (١٤٦٧) .

تقتضي كونه هناك، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح "[١].

ويبدأ في النسق بما كانت علة الحكم فيه أوضح وأتم نحو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ: الوَسَائِدُ، وَالدُّهْنُ، وَاللَّبَنُ" [٢].

وفي الثلاثة قلة الكلفة والمنّة، وردها يؤذي المعطي وربما جلب العداوة، قال الطيبي: يُرِيدُ أَنْ يُكْرَمَ الضَّيْفُ بِالْوِسَادَةِ وَالطِّيبِ وَاللَّبَنِ، وَهِيَ هَدِيَّةٌ قَلِيلَةُ الْمِنَّةِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تُرَدَّ[٣]. وَقَدْ وَرَدَ النَّهْيُ عَنْ رَدِّ الطيب مَقْرُونًا بِبَيَانِ الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مَرْفُوعًا "مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ طِيبٌ فَلَا يَرُدَّهُ، فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمَلِ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ "[٤].

وبدأ بما كانت علة الحكم فيه أوضح وأتم، فلا وجه لرد الوسادة والطيب بخلاف اللبن فقد يرد لسبب كشبع أو مخالفة الطبع ونحوهما، وقلة الكلفة والمنة في الأول أظهر من تالييه، وهذا النسق يحرض النفس على قبولها وعدم ردها حين صدر الوسائد لما فيها من راحة بدن الجالس أو المتكئ، ثم استرواح النفس إلى الطيب، وجعل الشراب آخرها فإنه مما تطرأ دواعي رده.

---

(١) رسالة في تحقيق مَعنَى النَّظمِ والصِّيَاغةِ لابن كمال باشا (ت٩٤٠هـ)، ص١٨٥، درَاسَة وتَحقِيق: د/حَامِد صَادِق قنيبي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٦هـ.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ١٠٨ برقم (٢٧٩٠)، وقال: الدُّهْنُ: يَعْنِي بِهِ الطِّيبَ. قال ابن حجر: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ. فتح الباري ٥/ ٢٠٩.

(٣) الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ٧/ ٢٢٣٣ ، وفيض القدير للمناوي، ٣/ ٣١٠.

(٤) فتح الباري ٥/ ٢٠٩، والحديث في سنن أبي داود ٤/ ٧٨ برقم (٤١٧٢) ، سنن النسائي٨/ ١٨٩ برقم (٥٢٥٩).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهذا النسق على جهة الاهتمام يحرض النفس على القبول، ويقويه الجملة الخبرية لفظا وهي إنشائية معنى، فهي أبلغ من صريح النهي، حيث يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم أنه يخبر، لا أنه ينهاهم بصريح النهي، فامتثال النفس لما جاء في صورة الخبر أقرب؛ لأنه أوقع في النفس، وأدعى للقبول، سيما في مقام الإرشاد والتوجيه.

ويظهر نسق الاهتمام في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم"(١).

فموضع العناية في الحديث هنا أصناف الداعين، وسيأتي في حديث آخر التركيز على الدعوات ووصفها بكونها مستجابات، "وسُرْعَةُ قبول الدُّعَاءِ إِنَّمَا تَكُونُ لِصَلَاحِ الدَّاعِي أَوْ لِتَضَرُّعِهِ فِي الدُّعَاءِ"(٢)، ويظهر صلاح الداعي في الأول والثاني (الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، الصَّائِم)، ويظهر التضرع في الثالث (الْمَظْلُوم)، فالأول – موضع الاهتمام هنا – عبادته متعدية ونفعها شامل، ولهذا بدأ به في النسق، وأما غيره فعبادته تخصه وحده، فقدم الإمام على الصائم، لكثرة المصالح المتعلقة به وعموم نفعه البلاد والعباد الذين يحكمهم ويلي أمرهم، ودعوة الأخير لها خصوصية في التضرع؛ "لِأَنَّهُ لَمَّا لَحِقَتْهُ نَارُ الظُّلْمِ وَاحْتَرَقَتْ أَحْشَاؤُهُ، خَرَجَ مِنْهُ الدُّعَاءُ بِالتَّضَرُّعِ وَالِانْكِسَارِ، وَحَصَلَ لَهُ حَالَةُ الِاضْطِرَارِ، فَيُقْبَلُ دُعَاؤُهُ"(٣). ولهذا صرح بلفظ الدعوة قبل

---

(١) المسند ١٣/٤١٠، برقم (٨٠٤٣).

(٢) المفاتيح في شرح المصابيح : الحسين بن محمود بن الحسن الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (ت٧٢٧هـ) ٣/ ١٣١، ط دار النوادر، الكويت، ط الأولى، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي الملا الهروي القاري ٤/١٥٣٤.

المظلوم، ولم يصرح بها في الأول والثاني، جبرا لخاطره المنكسر.

وفي الثلاثة منع النفس، غير أن الأول منَعَ نفسه اختيارا واحتسابا للأجر الثواب فلم يظلم مع قدرته وإمامته، وكذا الثاني منَعَ نفسه الطعام والشراب والشهوة رغبة في الأجر، وأما الثالث (المظلوم)، فالمنع واقع عليه من غيره مع ما يقارنه من قهر الظالم للمظلوم، وتوالت الكلمتان الأوليان على صيغة اسم الفاعل (العادل، الصائم) فاقترن المتماثلان، وتأخر عنهما اسم المفعول (المظلوم) فاجتمع حسن التشاكل اللفظي مع حسن بناء المعاني، قال حازم في منهاج البلغاء وسراج الأدباء: "من حسن الوضع اللفظي أن يؤاخى في الكلام بين كلم تتماثل في مواد لفظها، أو في صيغها، أو في مقاطعها، فتحسن بذلك ديباجة الكلام"(١).

وفي رواية بتقديم الصائم:" ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ"(٢).

فالنسق في هذه الرواية مبني على الترقي من الأدنى إلى الأعلى، "فالصائم يقبل دعاؤه؛ لأنه فرغَ من عبادةٍ محبوبةٍ إلى الله تعالى، وهي الصوم، كما قال رسول الله – عليه السلام – حكايةً عن الله تعالى: أنه قال: "الصَّومُ لي". وأما "الإمام" فلأنَّ عدله أفضلُ العبادات؛ لأن عدلَ ساعةٍ يدركُ عبادةَ ستين سنة. وأما "المظلوم" فلأنه لمَّا لحقته نار الظلم، واحترقت أحشاؤه، خرج منه الدعاءُ عن تضرع، وصار مُضطرًا إلى الدعاء، ودفع

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص٢٢٤.
(٢) رواه الترمذي في سننه ٥/ ٥٧٨ برقم (٣٥٩٨) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الظلم عنه، فيقبل الله دعاءه، كما قال الله تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} [النمل: ٦٢]" [(١)]، ويؤيد ذلك أنه بالغ في دعوة الأخير وبسط الكلام عنها بما لها من خصائص ترفع درجتها: "يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ" .

وحين ينصب الاهتمام على الدعوات أخبر عنها بكونها مستجابات: "ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ"[(٢)]

قَالَ هُنَاك في الداعين: "لَا ترد"، وقال هنا في الدعوات: "مستجابات لا شك فيهن"؛ لِأَن عدم الرَّد كِنَايَة عَن الاستجابة، وَالْكِنَايَة أبلغ فَلذَلِك لم يُقَيِّدهُ بِنَفْي الشَّك[(٣)].

فبدأ بما له قوة قرابة وعلو نسب إلى صدر الحديث (لا شك فيهن)؛ لأن الشك في استجابة دعوة المظلوم ربما يقع في نفس المظلوم إذا تأخرت عنه الإجابة، وكذلك ربما يظنه الظالم إذا طال استدراجه، فكان اللائق وقوعها قريبا من نفي الشك؛ لأن مظنة الشك فيها أكثر من تالييها، لذلك بدأ بدعوة المظلوم، على النحو الذي يتحقق فيه قول حازم: "تقديم ما عناية النفس به أكبر، وهو عندها أشهر في الشيء وأظهر فيه بالنسبة إلى غرض

(١) المفاتيح في شرح المصابيح ، ٣/ ١٣١ .
(٢) سنن الترمذي ٤/ ٣١٤ برقم (١٩٠٥)، وغيره .
(٣) ينظر: التيسير بشرح الجامع الصغير: المناوي، ١/ ٤٦٨، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ط الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

الكلام"[١]. كما أن شريف النظم يقرب بين (مستجابات)، و(المظلوم) فكلاهما اسم مفعول، ويقرب بين (المسافر) و(الوالد) فكلاهما اسم فاعل، فحصل بهذا النسق مراعاة الائتلاف نظما ومعنى.

وأخر (دعوة الوالد على ولده)، فإن الوالد لا يدعو على ولده إلا إذا ظلمه الولد وغالى في العقوق، فيكون الثالث من قبيل الأول (دعوة المظلوم) من باب الخاص بعد العام، فجعله في البدء والختم؛ لِلِاعْتِنَاءِ بِشَأْنِهِ، وليكون فيه زجر للولد عن العقوق، وزجر للوالد عن الدعاء عليه، فهذا مبناه على الترهيب من دعوة المظلوم. وجاء في سنن ابن ماجه بلفظ " وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ"[٢] ترغيبا للوالد في الدعاء لولده.

وعكس هذا الترتيب في رواية أخرى:" ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ"[٣] وكثيرا ما يسبق الترغيبُ الترهيب، فقدم هنا الترغيب ترغيب الوالد والمسافر في الدعاء، وبدأ بالوالد؛ لأن "الوالد يدعو لولده على نعت الخير والرقة، وإيثار الولد على نفسه بما يستطيع، فيخلص في دعائه مبلغ جهده"[٤]. وتأخر عنهما ترهيب الظالم وتخويفه من دعوة المظلوم.

وتارة يؤخر الأهم كما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ

---

(١) منهاج البلغاء ، ص١٠١.

(٢) سنن ابن ماجه، ٢/ ١٢٧٠ برقم(٣٨٦٢) ، وإسناده حسن.

(٣) سنن أبي داود، ٢/ ٨٩ برقم (١٥٣٦).

(٤) الميسر في شرح مصابيح السنة: التُّورِبِشْتِي(ت٦٦١هـ) ٢/ ٥١٩، تحقيق: د/عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط الثانية١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ"(١).

فيزداد اهتمام النسق بالعمل هنا في صورة بديعة من التوشيع(٢) الذي بدا وميضه في صدر الحديث "يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ"، ثم أضاءت أنواره على التدرج "يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ" فكان تمامها وكمالها عند "عمله"، ولا يخفى أن هذا التوشيع يحصل به رؤية المعنى في صورتين مختلفتين: بالإبهام والإيضاح، ويتمكن المعنى في النفس فضل تمكن، وتكمل لذة العلم به؛ لأن الشيء إذا علم من وجه ما، تشوقت النفس للعلم به من باقي الوجوه (٣).

وذكر لفظ الميت في صدر الحديث مشعر بزوال الدنيا عنه ومفارقته إياها، فلاءمه البدء بما يزول عنه، فقدم في الإبهام (يرجع اثنان) على (يبقى واحد) ، فاقتضى حسن النسق في الإيضاح تقديم المفارق (أهله وماله) على الباقي (عمله) ليبقي ما هو أولى بالاهتمام، ففي هذا النسق حثّ للمؤمن على أن يهتم بصلاح العمل إذ هو الباقي عند رجوع ما سواه، ليقرّ في القلب، ويتمكّن في الوجدان منزلة العمل بالنسبة إلى قرينيه: الأهل والمال،

---

(١) صحيح البخاري ٨/ ١٠٧ برقم(٦٥١٤) ، صحيح مسلم ٤/ ٢٢٧٣ برقم(٢٩٦٠).

(٢) عرف السبكي التوشيع بأنه "كل مثنى أو جمع ذُكر ثم فصّل، سواء أكان في أول الكلام أو آخره، يحصل به الإيضاح بعد الإبهام" عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص، ٣/ ٢١٦. وقال العصام: "هو أن يؤتى في عجز الكلام بمعنى مفسر باسمين ثانيهما معطوف على الأول، ولا يظهر فرق بين المثنى المفسر باسمين وبين الجمع المفسر بأسماء، ولعلهم ذكروا أقل ما يكون، وكذا لا يظهر فرق بين المثنى في عجز الكلام، وفي أثنائه، فالأظهر أن يحذف العجز عن التعريف". الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ٢/ ٨٥ .

(٣) ينظر: عروس الأفراح ، وحاشية الدسوقي، ضمن شروح التلخيص، ٣/ ٢١٦.

والغالب المشاهد أن (الأهل) أكثر من يتبع الميت فهم تابعوه ومشيعوه، وأحيانا يتبع الميتَ ماله من عبيد أو دواب أو نحوها، وأما عمله الذي يتبعه فذكر عقب المحسوس المشاهد؛ ليلحق بالمشاهد فإنه يتجسد له وحده في قبره في صورة رجل حسن أو قبيح فيقول له أنا عملك[١]، فنسق من دنيوي محسوس مشاهد إلى غيبي يشاهده الميت وحده اهتماما بالأخروي.

(١) تجسد العمل في صورة رجل ورد في حديث طويل : "وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ لَهُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ فَهَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَأْتِي بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ". وقَالَ في الآخر:" وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ". قَالَ:" فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهِ الَّذِي يَجِي بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ" . رواه البيهقي في سننه، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ ١/ ٦١٠ برقم (٣٩٠)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، ط الأولى١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثالث

نسق التفريع :

التفريع من قولك: فرّعت هذا إذا قررته على أصله، وكل ما كان مبنيا على غيره فهو فرع له، فالكلام الأول يؤتى به على جهة الأصل، وما بعده على جهة الإكمال والتفريع لما أصلته من قبل(١).

ومما روعي في نسقه التفريع قوله صلى الله عليه وسلم: "ثَلَاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ، وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: النِّكَاحُ، وَالطَّلَاقُ، وَالرَّجْعَةُ"(٢)، فبدأ بالأول وهو الأصل (النكاح)، والطلاق فرع وجود النكاح، والرجعة فرع الطلاق، فلا طلاق إلا بعد نكاح، ولا رجعة إلا عن طلاق، ويتجلى خصوص هذه العقود وخطرها لتعلقها بالفروج، وآكدها الأول الذي به تستحل الفروج.

ومما يظهر في نسقه مراعاة التفريع قوله صلى الله عليه وسلم: " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ" (٣).

ووجه التفريع فيه تقديم أصل الإيمان على فرعين من فروعه، لأن محبة المرء لله تنبت من حب الله، وكراهية الرجوع في الكفر نتجت عن شدة حب الله ورسوله، ولهذا نص العيني على أن الحب فِي الله من ثَمَرَات

---

(١) ينظر: الطراز ٣/ ٧٢ .

(٢) سنن أبي داود، ٢/ ٢٥٩ برقم (٢١٩٤)، وسنن الترمذي، ٣/ ٤٨٢ برقم (١١٨٤) وغيرهما ، وقال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ".

(٣) أخرجه البخاري ، ١/ ١٢ برقم (١٦) ، ومسلم ١/ ٦٦ برقم (٤٣).

حبّ الله قَالَ العيني: " وَفِي الحديث محبَّة الله وَرَسُوله الَّتِي هِيَ أصل الْإِيمَان بل عينه، وَلَا تصح محبَّة الله وَرَسُوله حَقِيقَة، وَلَا حب لغير الله وَلَا كَرَاهَة الرُّجُوع فِي الْكفْر إلاَّ لمن قوي الْإِيمَان فِي نَفسه وانشرح لَهُ صَدره وخالط دَمه ولحمه، وَهَذَا هُوَ الَّذِي وجد حلاوته، وَالْحب فِي الله من ثَمَرَات الْحبّ لله"[١] .

وقد أشار الدكتور/ أبو موسى إلى التفريع الذي بني عليه النسق فقال: "خصال الخير خارج بعضها من بعض، فحب الله ورسوله منتج حب المرء لله ، وكراهية العود إلى الكفر هي النتيجة لهذا الحب الذي ولد حبا"[٢] .

فالثاني من المعاني المتولِّدة من الأول، واتصل به اتصالاً يمنع من التفرقة بينهما في النظم؛ لهذا أردف حب الله ورسوله بمحبة العبد في الله؛ لتجتمع المحبتان معًا، وباجتماع الفضيلتين يحصل النفور من مجمع الرذائل (الكفر)، فقرن اثنتين من الخصال فيهما الحلاوة أوضح، وختم بخصلة منها القبحُ ينضح، قال الحافظ ابن حجر: "وفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى التَّحَلِّي بِالْفَضَائِلِ وَالتَّخَلِّي عَنِ الرَّذَائِلِ، فَالْأَوَّلُ مِنَ الْأَوَّلِ، وَالْأَخِيرُ مِنَ الثَّانِي"[٣]، فجمع المحبوب إلى المحبوب ليقرّب المتماثلين نظما ومعنى وأخر عنهما المكروه، وعبارة حازم القرطاجني: "إن للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها، والمتشابهات وما جرى مجراها تحريكا وإيلاعا بالانفعال إلى مقتضى الكلام لأن تناصر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعا من سنوح ذلك لها في شيء واحد"[٤]. وبدأ في الأصل بالاسم الجليل

(١)عمدة القاري للعيني، ١/ ١٤٨ .
(٢) ينظر: شرح أحاديث من صحيح مسلم: د/ أبو موسى، ١/ ٢٤٧.
(٣) فتح الباري لابن حجر ، ١/ ٦١ .
(٤) منهاج البلغاء ، ص ٤٥ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

معطوفا عليه الرسول، مخبرا عنهما باسم التفضيل (أحبّ) الأصول، ثم نزل في الفرع إلى الفعل (يحب)، وغير خاف أن الأصول - غالبا- لها من المزايا والخصائص تعظيما وتشريفا ما ليس للفروع. وحين اجتمع مع حسن النسق الطباق بين الفعلين(يحب- يكره)، وبين الاسمين (الإيمان- الكفر)، كان غاية في الحسن، ففي ذلك النسق مراعاة لحال النفس قبولا وتنفيرا، ترغيبا وترهيبا... مع مراعاة ما يقتضيه العقل من "تقديم الكلي على جزئياته؛ لأن الشيء كلما كان أكثر كلية كان أعرف عند العقل"(١). ومن الإشارات التي يومئ إليها النسق تقديم الترغيب على الترهيب، إذ جعل حب الله والحب في الله أقرب - في النظم- إلى حلاوة الإيمان، وجعل لفظ (الكفر) آخر الحديث أبعد ما يكون عن لفظ (الإيمان) المذكور في صدر الحديث، فجاءت المعدودات في مواقعها على أتم وجه من الائتلاف والملائمة .

ومما بني على التفريع قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ،" ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ العَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ"(٢) .

---

(١) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الفخر الرازي، ص١٩٥، ط دار صادر، بيروت ، الأولى ١٤٢٤ه- ٢٠٠٤م.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٣٤ برقم (٢٦٥٨) تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط مصطفى البابي الحلبي، ط الثانية، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م، سنن ابن ماجه ١/ ٨٤ برقم (٢٣٠) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، مسند الإمام أحمد ٢١/ ٦٠ ، برقم(١٣٣٥٠) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

ساق هذه الثلاث عقب الحديث عن حفظ الأقوال النبوية ونشرها، فنهى عن الغل المانع من تبليغها ونشرها في صورة النفي (لَا يَغِلُّ) بفتح الياء ويروى بضمها، وكسر العين على الصيغتين، فالأول- من الغل- الحقد، والثاني-من الإغلال- الخيانة، والمعنى: المؤمن لا يخون في هذه الأشياء الثلاثة، أو لا يدخله ضغن يزيله عن الحق حين يفعل شيئاً من ذلك(١).

والإخبار عن الثلاث بـ (لا يغل عليهن قلب) يقتضي البدء بالأصل في إصلاح القلوب، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْفَائِقِ: "وَالْمعْنَى أَن هَذِهِ الْخِلَالَ يُسْتَصْلَحُ بِهَا الْقُلُوبُ، فَمَنْ تَمَسَّكَ بِهَا طَهُرَ قَلْبُهُ مِنَ الغِلِ وَالْفَسَادِ"(٢). فرتبها من الداخل إلى الخارج، فبدأ بالإخلاص وهو أوغل في الخفاء في القلب وعليه المدار فلا يقبل عمل إلا إذا صحبه الإخلاص، وأتبعه فرعين: نصح الأئمة خاصة، ثم لزوم الجماعة على جهة العموم، قال ابن القيم:" لَا يَبْقَى فِي القلب غِلٌّ، وَلَا يَحْمِلُ الْغِلَّ مَعَ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ، بَلْ تَنْفِي عَنْهُ غِلَّهُ، وَتُنَقِّيهِ مِنْهُ، وَتُخْرِجُهُ عَنْهُ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ يَغِلُّ عَلَى الشِّرْكِ أَعْظَمَ غِلٍّ، وَكَذَلِكَ يَغِلُّ عَلَى الْغِشِّ، وَعَلَى خُرُوجِهِ عَنْ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ بِالْبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ، فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ تَمْلَؤُهُ غِلًّا وَدَغَلًا، وَدَوَاءُ هَذَا الْغِلِّ، وَاسْتِخْرَاجُ أَخْلَاطِهِ بِتَجْرِيدِ الْإِخْلَاصِ، وَالنُّصْحِ، وَمُتَابَعَةِ السُّنَّةِ"(٣).

---

(١) الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ٦٨٤/٢ .

(٢) الفائق في غريب الحديث: الزمخشري،٣/ ٧٢، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعرفة - لبنان، ط الثانية.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم (ت:٧٥١هـ)، ٩٠/٢، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط دار الكتاب العربي - بيروت، الثالثة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وبدأ بالإخلاص وهو الأصل وأساس قبول الأعمال، وتاليه مبنيان عليه، وغيره من العمل فرع عنه، وكما قدم الإخلاص لأن غيره تبع له قدم الأئمة على تابعيهم لأن الأئمة هم المتبوعون، وجماعة المسلمين لهم تبع، فقدم الخاصة (الأئمة) على العامة، والأول بالنسبة لما يتعلق بحق الخالق، والثاني والثالث في حق المخلوقين خاصتهم وعامتهم، وحق الخالق وما يتعلق به مقدم على حق المخلوق وما يتصل به، وقد ذكر ابن تيمية أن هَذِهِ الثَّلَاث تَجْمَعُ أُصُولَ الدِّينِ وَقَوَاعِدَهُ وَتَجْمَعُ الْحُقُوقَ الَّتِي لِلَّهِ وَلِعِبَادِهِ، وَتَنْتَظِمُ مَصَالِحَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ الْحُقُوقَ قِسْمَانِ : حَقٌّ لِلَّهِ وَحَقٌّ لِعِبَادِهِ، فَحَقُّ اللَّهِ إخْلَاص الْعَمَلِ لِلَّهِ ، وَحُقُوقُ الْعِبَادِ قسمان: فالنَّاسُ رُعَاةٌ وَرَعِيَّةٌ ؛ فَحُقُوقُ الرُّعَاةِ مُنَاصَحَتُهُمْ ؛ وَحُقُوقُ الرَّعِيَّةِ لُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ ؛ فَإِنَّ مَصْلَحَتَهُمْ لَا تَتِمُّ إلَّا بِاجْتِمَاعِهِمْ، وَهُمْ لَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى ضَلَالَةٍ ؛ بَلْ مَصْلَحَةُ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ فِي اجْتِمَاعِهِمْ وَاعْتِصَامِهِمْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا؛ فَهَذِهِ الْخِصَالُ تَجْمَعُ أُصُولَ الدِّينِ(١).

وهذا النسق بما شمل من الأصول والفروع يجلي في البلاغة النبوية مزية (الاستيفاء) الذي يخرج به الكلام – مع إحكامه ووجازته – مبسوط المعنى بأجزائه حتى كأن تلك الألفاظ القليلة إنما ركبت تركيباً على وجه تقتضيه طبيعة المعنى في نفسه، وطبيعته في النفس، فمتى وعاها السامع، واستوعبها القارئ، تمثل المعنى وأتمه في نفسه حسب ذلك التركيب، فوقع إليه تاماً مبسوط الأجزاء، وهذا ضرب من التصرف بالكلام في أخلاق

(١) ينظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية(ت:٧٢٨هـ)، ١٨/١، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.

النفوس الباطنة التي تذعن لها النفوس وتتصرف معها، وقلما يستحكم لامرئ إلا بتأييد من الله وتمكين من اليقين والحجة ...كما ذكر الرافعي[١].

ويحتمل أن تكون الثلاث هي المقالة التي استوصى في حقها أن يبلغ، والكلام السابق (نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي) كالتوطئة والتمهيد لها اعتناء بشأنها، فهذه التوصية البليغة جمعت بين التعظيم لأمر الله تعالى- فإن إخلاص العمل هي مقدمة مطلوبة في كل أعمال صالحة- وبين الشفقة على خلق الله من النصيحة لهم إن كان فوقهم، ومن التبرك بدعائهم والانخراط في سلكهم وأداء حقوقهم إن كان دونهم[٢].

(١) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، ص٢٢٩، ٢٣٠، ط دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثامنة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

(٢) ينظر: الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ٦٨٤/٢، ٦٨٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الرابع

نسق المعدودات مراعاة للطبع:

مراعاة الطبع وما يميل إليه أو يقع منه بالموافقة تقتضي أن ينسق المعدودات وفق ذلك، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "الشِّفَاءُ فِي ثَلاَثَةٍ: شَرْبَةِ عَسَلٍ، وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ، وَكَيَّةِ نَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الكَيِّ"(١) . فإن الطبع يميل إلى الأول، وهو أحب الثلاثة وألذها؛ لحلاوة طعمه مع خلوه من الألم، وهو دواء وغذاء، ويليه الحجامة لما فيها من بعض الألم، والأخير(الكي بالنار) فيه من التعذيب والألم الشديد لمظنة الشفاء، فبدأ بالمحبوب الذي تميل إليه النفس؛ مراعاة للطبع. ولذلك صرح في الأخير بكراهية النفس له كما في رواية أحمد (وَأَنا أكْرَهُ الكَيَّ، ولَا أُحِبُّهُ)(٢) أي كراهية تنزيه، وتأخير لفظ (الكي) في الحديث " إِشَارَةٌ إِلَى تَأْخِيرِ الْعِلَاجِ بِالْكَيِّ حَتَّى يَضْطَرَّ إِلَيْهِ لِمَا فِيهِ مِنَ اسْتِعْمَالِ الْأَلَمِ الشَّدِيدِ فِي دَفْعِ أَلَمٍ قَدْ يَكُونُ أَضْعَفَ مِنْ أَلَمِ الْكَيِّ "(٣) .

ويحتمل ترتيبها بالسبق الوجودي حسب مراحل العلاج، فالأول السابق وهو إدخال النافع الذي يطرد الداء، وقد صرح القرآن بكونه شفاء للناس، وعِنْدَ عَدَمِ نَفْعِ الْأَدْوِيَةِ الْمَشْرُوبَةِ يكون إخراج الضار، فإن لم يُجْدِ إدخالُ النافع ولا إخراج الضار، انتقل إلى المرحلة الأخيرة آخر الدواء بحسم الداء، فهذا التدرج المذكور وفق التدرج في مراحل العلاج، وبين (شربة، وشرطة)

---

(١) صحيح البخاري ٧/ ١٢٢ برقم (٥٦٨٠)، سنن ابن ماجه ٢/ ١١٥٥ برقم (٣٤٩١).
(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٢٨/ ٥٥٢ برقم (١٧٣١٥).
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ١٩٣، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثانية،١٣٩٢هـ.

جناس لاحق حسَّن تواليهما في النسق .

ويراعى في نسق الخصال المذمومة نفرة الطبع منها – مع كونها مذمومة من جهة الشرع – كما في الأصناف الثلاثة المذكورة في قَوله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ:" ثَلَاثٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُّ بِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ- الْمُتَشَبِّهَةُ بِالرِّجَالِ-، وَالدَّيُّوثُ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ بِوَالِدَيْهِ، وَالْمُدْمِنُ الْخَمْرَ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى"(١).

معناه – كما ذكر شراح الحديث(٢)– لا يدخلون الجنة مع السابقين الأولين، أو من غير سبق عذاب، وفي الثلاثة مخالفة الطبع وتبديل الفطرة وطمسها، فإن كل المخلوقات فطرت على التعلق بالوالدين حبا، وهذا ظاهر في الإنسان والحيوان والطير، وخروج المرأة عن جنسها الأنثوي إلى التشبه بجنس آخر مما يصرف عنه الطبع، والأخير طمس للغيرة التي هي فطرة في الإنسان بل الحيوانات، وانتزاعها قاض بانتكاس الفطرة وموت القلب، قال ابن القيم: "الدَّيُّوثُ أَخْبَث خَلْق اللَّهِ، وَالْجَنَّةُ حَرَامٌ عَلَيْهِ ... وَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ أَصْلَ الدِّينِ الْغَيْرَةُ، وَمَنْ لَا غَيْرَةَ لَهُ لَا دِينَ لَهُ، فَالْغَيْرَةُ تَحْمِي الْقَلْبَ فَتَحْمِي لَهُ الْجَوَارِحَ، فَتَدْفَعُ السُّوءَ وَالْفَوَاحِشَ، وَعَدَمُ الْغَيْرَةِ تُمِيتُ الْقَلْبَ، فَتَمُوتُ لَهُ الْجَوَارِحُ؛ فَلَا يَبْقَى عِنْدَهَا دَفْعٌ الْبَتَّةَ. وَمَثَلُ الْغَيْرَةِ فِي الْقَلْبِ مَثَلُ الْقُوَّةِ الَّتِي تَدْفَعُ الْمَرَضَ وَتُقَاوِمُهُ، فَإِذَا ذَهَبَتِ الْقُوَّةُ وَجَدَ الدَّاءُ الْمَحِلَّ قَابِلًا، وَلَمْ يَجِدْ دَافِعًا، فَتَمَكَّنَ، فَكَانَ الْهَلَاكُ، وَمِثْلُهَا مِثْلُ صَيَاصِيِّ الْجَامُوسِ الَّتِي تَدْفَعُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ، فَإِذَا تَكَسَّرَتْ طَمِعَ فِيهَا عَدُوُّهُ" (٣).

---

(١) مسند أحمد ١٠/ ٣٢٢ برقم (٦١٨٠) ، وإسناده حسن.
(٢) فيض القدير ٣/ ٣٢٦ .
(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ص ٦٨، ط دار المعرفة بالمغرب، الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي الشطر الثاني من الحديث تَكرار (العاقِّ بوالديه)، وبدأ به كما بدأ به الشطر الأول، ومع كونه أشد جرما – إذ هو من أكبر الكبائر وقرن بالإشراك بالله في القرآن الكريم– فإن الطبع يأباه أكثر من تاليه، لأنه إساءة إلى أصله الذي كان سبب وجوده، ودونه الثاني (مدمن الخمر) لما فيه من إساءة إلى نفسه بإهدار العقل الذي يضبط تصرفه وأفعاله، والطبع السليم يعده قبيحا فينفر منه صونا لآدميته، ودونهما الأخير(المنان) وفيه إتباع الصالح بالسيء الذي يذهب ثواب فعله الصالح. نعم في الثلاثة وضْعُ الإساءة موضع الإحسان وكفران ما ينبغي أن يشكر، غير أن شرها الأول طبعا.

ويلاحظ هنا أنه خص من الأرحام أعلاها درجة(الوالدين)؛ فلهذا قدم العقوق اهتماما بالترهيب منه، وفي حديث آخر ذكر قطع الرحم على جهة العموم: "ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَقَاطِعُ رَحِمٍ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ"(١)، فقاطع الرحم أَعَمُّ مِنَ الْعَاقّ لوالديه، فلهذا أخر بعد مدمن الخمر بخلاف الحديث الأول.

ومِنْ دَوَاعِي الطبع كون النُّفُوس السوية تَنصرف عن القبيح بطبعها وتنفر منه، فإذا انضم إلى قبحه الترهيبُ منه شرعا بالوعيد الشديد، كانت النفس أدعى أن تنصرف عنه بالكلية، ويتجلى ذلك بالنظر في الثلاثة المذكورة في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ"(٢)،

(١) مسند أحمد ٣٢/ ٣٣٩ برقم (١٩٥٦٩)، والحاكم في المستدرك ١٤٦/٤ برقم (٧٢٣٤) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(٢) صحيح مسلم ١/ ١٠٢ برقم (١٠٧).

وفي رواية: " ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الشَّيْخُ الزَّانِي، وَالْعَائِلُ الْمَزْهُوُّ، وَالْإِمَامُ الْكَذَّابُ"(١).

فالأول تتفق الطباع السوية على الانصراف عنه لعدم الداعي، فالمقصود أن يثير العجب من زنا الشيخ ليبعث كَرَاهيته ولُزُوم اجْتِنَابِهِ، قال القونوي: "سر ما تقرر في الحديث أن الزنا في الشباب له فيه نوع عذر؛ فإن الطبيعة تنازعه وتتقضاه، وأما الشيخ فشهوته ضعفت، وقوته انحطت، فإذا كان زانيا فليس ذلك إلا لكونه مفسدا بالطبع، فهو مجبول على الفساد فذلك وصف ذاتي له"(٢).

ولهذا قدم (الشيخ الزاني) لما للزنا من خطورة على المجتمع، وآثار قبحه تنتشر، ومفاسده أكثر من تالييه، فضرره متعد يلحق العار به وبغيره، وإذا كان الزنا فاحشة، فإن زنا الشيخ أفحش، والطبع ينفر منه أكثر من تالييه، وعقوبته الدنيوية في باب الحدود أشد، فقدم الأفحش على المذموم والقبيح(الملك الكذاب والفقير المتكبر)، وهذا النسق أبلغ ما يكون في التقبيح والزّجر، فإن افتتاح الثلاثة بالشيخ الزاني يثير شدة التعجيب من فساد الطبع، وينسحب ذلك على قرينيه، قال النووي: "وَأَمَّا تَخْصِيصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّيْخَ الزَّانِي وَالْمَلِكَ الْكَذَّابَ وَالْعَائِلَ الْمُسْتَكْبِرَ بِالْوَعِيدِ الْمَذْكُورِ، فَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: سَبَبُهُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الْتَزَمَ الْمَعْصِيَةَ الْمَذْكُورَةَ مَعَ بُعْدِهَا مِنْهُ، وَعَدَمِ ضَرُورَتِهِ إِلَيْهَا، وَضَعْفِ دَوَاعِيهَا عِنْدَه، وَإِنْ كَانَ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ، لَكِنْ لَمَّا لَمْ يَكُنْ إِلَى هَذِهِ الْمَعَاصِي ضَرُورَةٌ مُزْعِجَةٌ ولا دواعي معتادة، أَشْبَهَ إِقْدَامُهُمْ عَلَيْهَا الْمُعَانَدَةَ وَالِاسْتِخْفَافَ بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَصْدَ

(١) سنن النسائي ٥/ ٨٦ برقم (٢٥٧٥)
(٢) فيض القدير ٣/ ٣٣٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مَعْصِيَتِهِ لَا لِحَاجَةٍ غَيْرِهَا؛ فَإِنَّ الشَّيْخَ لِكَمَالِ عَقْلِهِ وَتَمَامِ مَعْرِفَتِهِ بِطُولِ مَا مَرَّ عَلَيْهِ مِنَ الزَّمَانِ وَضَعْفِ أَسْبَابِ الْجِمَاعِ وَالشَّهْوَةِ لِلنِّسَاءِ وَاخْتِلَالِ دَوَاعِيهِ لِذَلِكَ عِنْدَهُ مَا يُرِيحُهُ مِنْ دَوَاعِي الْحَلَالِ فِي هَذَا وَيُخَلِّي سره منه فكيف بالزنى الْحَرَامِ؟! وَإِنَّمَا دَوَاعِي ذَلِكَ الشَّبَابُ وَالْحَرَارَةُ الْغَرِيزِيَّةُ وَقِلَّةُ الْمَعْرِفَةِ وَغَلَبَةُ الشَّهْوَةِ لِضَعْفِ الْعَقْلِ وَصِغَرِ السِّنِّ ... فَلَمْ يَبْقَ فِعْلُهُم إِلَّا لِضَرْبٍ مِنَ الِاسْتِخْفَافِ بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى"[1].

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ١١٧.

المبحث الخامس

نسق المعدودات مراعاة للفضل والشرف:

يجيء ترتيب المعدودات وفق الفضل والشرف والكمال فيقدم الأنبياء على غيرهم من الصديقين والصالحين، ويقدم العالم على الجاهل.

ويظهر هذا النسق في نحو قوله صلى الله عليه وسلم: " لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى"(١)، فقد بني على الأفضلية؛ لأن الصلاة في الأول تفضل كل ما سواه، ودونه في الفضل الثاني، ثم الثالث، ثم تكون المساجد غيرها سواء، ويشهد لهذا ما جاء عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " فَضْلُ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَلَى غَيْرِهِ مِائَةُ أَلْفِ صَلَاةٍ، وَفِي مَسْجِدِي أَلْفُ صَلَاةٍ، وَفِي مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَمْسُمِائَةِ صَلَاةٍ"(٢).

لكن جاء في رواية مسلم تقديم المسجد النبوي على المسجد الحرام، ولفظه:" لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى"(٣)، وهذا النسق يحتمل وجهين :

الأول – الأفضلية: وذلك بالنظر إلى بانيها – تأسيسا أو تجديدا – من الأنبياء، فأفضلهم النبي صلى الله عليه وسلم، فقدم مسجده، وأضافه إلى ضمير المتكلم، ويليه في الفضل إبراهيم عليه السلام الذي رفع قواعد البيت

---

(١) صحيح البخاري، ٢/ ٦٠ برقم (١١٨٩).
(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣٩، برقم (٣٨٤٥)،.
(٣) صحيح مسلم، ٢/ ١٠١٤، برقم (١٣٩٧).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الحرام، ثم الذي بنى المسجد الأقصى وهو سليمان عليه السلام، كما أخرجه النسائي بسند صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خِلَالًا ثَلَاثَةً... الحديث"(١). وقيل بناه آدم، وكان بناء سليمان تَجْدِيدا لِمَا أَسَّسَهُ غَيْرُه(٢) .

والوجه الثاني – أن النسق على جهة التدرج المكاني من القريب إلى البعيد فالأبعد، وهو مناسب لمطلع الحديث، فإن مطلع الحديث في شأن شد الرحال والسفر إلى المساجد الثلاثة، فبدأ بالمكان الأقرب إلى المتكلم، ولهذا عبر باسم الإشارة المستعمل للقريب في قوله: "مسجدي هذا"، وانتقل منه إلى ما هو أبعد منه مكانا (المسجد الحرام)، ثم إلى ما هو أبعد منهما مكانا (المسجد الأقصى).

ويتحصل من مجموع الروايتين أنه حسُن البدء بالأفضل، فما دونه، كما حسن البدء بالأقرب مكانا إلى المتكلم، وكلاهما حسن، وقد قرر ابن الأثير هذه القاعدة فيما وصفه بكونه طريقا يقتفى فقال:"اعلم أنه إذا كان الشيئان كل واحد منهما مختصًّا بصفة، فأنت بالخيار في تقديم أيهما شئت في الذكر، كهذه الآية (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات)(فاطر: ٣٢)، فإن السابق بالخيرات مختص بصفة الفضل، والظالم لنفسه مختص بصفة الكثرة، فقس على هذا ما يأتيك من أشباهه وأمثاله"(٣).

---

(١) سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ٢/ ٣٤ ، برقم (٦٩٣)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

(٢) ينظر: حاشية السيوطي على سنن النسائي٢/٣٣، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

(٣) المثل السائر ٢/١٨٣، وينظر: الطراز ٢/ ٤١.

ولا يخفى في هذا الحديث بلاغة العدول عن النهي إلى النفي لحمل المخاطب على الترك مصحوبا بلون من التلطف، وهذا أدعى للقبول.

ويتضح في النسق مراعاة الفضل والشرف في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: المُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ العَفَافَ"(١).

بدأ في النسق بالأفضل والأشرف، فالمقدم المجاهد؛ لأن الجهاد أفضل الأعمال بعد الإيمان، قال الطيبي: "إنما آثر هذه الصيغة (حق على الله عونهم) إيذاناً بأن هذه الأمور من الأمور الشاقة التي تفدح الإنسان وتقصم ظهره، ولولا أن الله تعالي يعينه عليها، لا يقوم بها"(٢). والذي يظهر لي أن أشقها الأول، وأجره أعظم؛ لنفرة النَّفس عنه طبعا لما فيه من مفارقة الأهل والمال وتقديم الأرواح، بخلاف تالييه يقبلان على محبوب مرغوب فيه طبعا (الحرية، وقضاء الشهوة على سبيل العفة) ففيهما نصيب من رغبة النَّفس وميل الطبع، فقدم المجاهد تعجيلا للمسرة، لأن السامع يتبادر إلى فهمه أول ما يفتتح به الكلام من مسرة، والشرف حاصل له بالوصف (المجاهد في سبيل الله) سواء قدم أو أخر، "وإنما الحاصل من تقديمه تعجيل التعظيم والسرور"(٣). وكان لفظ المجاهد أقرب الثلاثة إلى لفظ العون ترغيبا في

(١) سنن الترمذي ٤/ ١٨٤ برقم (١٦٥٥) وقال حديث حسن، وسنن النسائي ٦/ ١٥ برقم (٣١٢٠)، والمستدرك للحاكم ١٧٤/٢ برقم(٢٦٧٨) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، ولَمْ يُخَرِّجَاه.

(٢) الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ٧/ ٢٢٦٢.

(٣) ينظر: حاشية الدسوقي على مختصر السعد التفتازاني(ضمن شروح التلخيص)، ٣٩٤/١ ، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الجهاد، إذ هو أحقهم بالعون، قال الزملكاني: "وقد يخص الله تعالى بعض الأعمال من الوعد بما لا يخص به الآخر؛ ترغيبًا فيه، إمَّا لنفرة النَّفس عنه، أو لمشقته عليها، فيرغب فيه بمزيد الثواب، أو لأنَّ غيره مما يكتفي فيه بداعي النَّفس، والثوابُ عليه فضل"(١). وإن كان الطيبي – رحمه الله– يرى أن "أصعب الثلاثة العفاف؛ لأنه قمع الشهوة الجبلية المركوزة فيها"(٢)، فلعله نظر إلى جهة أخرى.

كما أن الصنف الأول ذكر معه (في سبيل الله) فحسن أن يقترب ويدنو من قوله في صدر الحديث: (حق على الله)، فأدناه إلى عون الله مكانا ومكانة – نظما ومعنى– لأن الأقرب إلى عون الله من كان في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله، وهذا لا يخفى فضله وشرفه، فحسّن هذا النسقَ تفردُ الأول بنمط في

(١) نفع قوت المغتذي على جامع الترمذي: البجمعوي ، ص٩٩ .
(٢) الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ٧/ ٢٢٦٢.

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز أثبت أهم نتائج البحث، وهي:

أولا – وردت المعدودات الثلاثة المتعاطفة في البيان النبوي متناسقة، متنوعة في وجوه النسق، والتأمل في وجوه النسق: كالترقي، والتدلي، والتفريع، والسببية، والاهتمام، والطبع، والفضل... كشف الكثير من أسرار حسن النسق وجماله في المعدودات الثلاثة في البيان النبوي.

ثانيا– إيراد المعدودات المتعاطفة في البيان النبوي على جهة الترقي تارة وعلى جهة التدلي تارة أخرى دون أن يحدث طفرة في الترقي، ولا هوّة في التدلي، فكان أحسن النسق الذي سلم من التفاوت، وجاءت مفرداته متلاحمة تلاحما متتابعا مستحسنا.

ثالثا– في بعض الأحاديث نصبت قرينة لفظية صريحة دالة على وجه النسق بين المعدودات، فكانت كمن أقام عليه المنار وأوقد فيه الأنوار.

رابعا– تقديم الأكبر من الذنوب(كالشرك) على ما دونه من الذنوب التي يستهان بها يرشح عليها من بشاعته ويكسوها من شدة جرمه مزيدا من التحذير والترهيب، فتكون بشاعتها من جهتين: أنها بذاتها من جملة الذنوب، وأنها قرنت بالشرك بالله وجاءت عقبه، وفي هذا النسق تهيئة النفس للنفرة مما يلي الشرك.

خامسا– تارة يؤخر في النسق أحد المعدودات ليجعله آخر ما يبقى في الأذهان، ويكون أولى بالإصغاء، أو ليكون الترغيب فيه أو التنفير منه – بعد تهيئة النفس بالأول والثاني– أدعى للقبول.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

سادسا- من حسن النسق جمع المحبوب إلى المحبوب؛ ليتجاور المتماثلان، مع تأخر المكروه بعدهما؛ لأن للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها، والمتشابهات وما جرى مجراها تحريكا وإيلاعا بالانفعال. كما تجاور في النسق المتماثلان في التأنيث، والمتماثلان في التذكير، والمتحدان في الوزن، فحسن النسق في مبناه ومعناه.

سابعا- اجتمع مع حسن نسق المعدودات محسنات بديعية كالطباق، والجناس، فازداد النسق حسنا على حسن.

ثامنا- من الأحاديث ما يحتمل أكثر من وجه من وجوه النسق، ومن ثم تتكاثر أسراره وفوائده، وكل وجه منها كالشعاع الساطع، فإذا تعددت روايات الحديث – تقديما وتأخيرا بين المعدودات – تغاير وجه النسق، وكشفت سرائره ومكنون ضمائره، وهذا من ثراء البيان النبوي.

وختاماً أوصي بدراسة النسق بين المعدودات الزائدة عن ثلاثة في البيان النبوي، نحو:"آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ..."(١)، "الشُّهَدَاءُ خَمْسة..."(٢)،" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ..."(٣)؛ ليبين حسن النسق فيها كما لاحت أسراره، وأشرقت أنواره هنا بين المعدودات الثلاثة.

والحمد لله أولا وآخرا

(١) صحيح البخاري، ١/ ١١١ برقم (٥٢٣).
(٢) السابق، ٤/ ٢٤ برقم (٢٨٢٩).
(٣) السابق، ١/ ١٣٣ برقم (٦٦٠).

مراجع البحث

١. إبراز الحكم من حديث رُفِعَ القَلم: تقي الدين السبكي(ت٧٥٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه: كيلاني محمد خليفة، ط دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الأولى١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
٢. أحكام القرآن: أبو بكر الرازي الجصاص(ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٥هـ .
٣. أسرار الفصل والوصل: د/ صبَّاح عبيد دراز، مطبعة الأمانة بالقاهرة، ط الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٤. أصول الإنشاء والخطابة: الطاهر بن عاشور، تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط الأولى١٤٣٣هـ .
٥. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: عصام الدين الحنفي(ت٩٤٣هـ)، تحقيق:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٦. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ)، ط دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثامنة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.
٧. الإعجاز في نسق القرآن دراسة للفصل والوصل بين المفردات: د/ محمد الأمين الخضري، مكتبة زهراء الشرق بالقاهرة، ط الأولى١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م
٨. البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ)، ط دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت- الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٩. البلاغة النبوية في ضوء تعدد الروايات الحديثية دراسة منهجية: يوسف عبد الله محمد العليوي، بحث في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، عدد٢٤، ٢٠١٢م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١٠. البلاغة النبوية: د/ محمد رجب البيومي، ط الدار المصرية اللبنانية، ط الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
١١. البيان والتبيين: عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، ط دار ومكتبة الهلال، بيروت١٤٢٣هـ .
١٢. تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط دار العلم للملايين، بيروت، الرابعة١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٣. التبيان في البيان: الطيبي، تحقيق: د /عبد الستار حسين زموط ـ دار الجيل، بيروت، الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٤. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ابن أبي الإصبع المصري(ت٦٥٤هـ)، تحقيق: د/حفني محمد شرف، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
١٥. تقويم الأدلة في أصول الفقه: أبو زيد الدّبوسيّ الحنفي (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: خليل محيي الدين الميس، ط دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
١٦. التيسير بشرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ط الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
١٧. الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م،
١٨. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ط دار المعرفة بالمغرب، الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٩. حاشية الدسوقي على مختصر السعد التفتازاني(ضمن شروح التلخيص)، ط دار الكتب العلمية، بيروت .

٢٠. حاشية السيوطي على سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢١. حَاشِيةُ الشِّهَابِ الخفاجي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، ط دار صادر، بيروت.
٢٢. خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي(ت ٨٣٧هـ) تحقيق: عصام شقيو، ط دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م .
٢٣. دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٢٤. ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، ط دار المعارف بالقاهرة، ط الثالثة .
٢٥. رسالة في تحَقيق مَعنَى النَّظمِ والصِّيَاغةِ لابن كمال باشا (ت٩٤٠هـ)، درَاسَة وَتحقِيق: د/حَامِد صَادِق قنيبي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٦هـ.
٢٦. سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
٢٧. سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٢٨. سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط مصطفى البابي الحلبي، ط الثانية، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.
٢٩. سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٣٠. شرح أحاديث من صحيح البخاري: د/ محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط الأولى١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣١. شرح أحاديث من صحيح مسلم دراسة في سمت الكلام الأول: د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠١٥م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٣٢. الكاشف عن حقائق السنن (شرح مشكاة المصابيح): شرف الدين الطيبي (ت٧٤٣هـ) ، تحقيق: د/عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز ، الرياض، ط الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
٣٣. شرح عقود الجمان للسيوطي (ت٩١١)، ط دار الفكر، بيروت لبنان.
٣٤. شرح النووي على صحيح مسلم بن الحجاج: يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثانية، ١٣٩٢هـ .
٣٥. شروح التلخيص، ط دار الكتب العلمية، بيروت .
٣٦. شعب الإيمان للبيهقي ، تحقيق وتخريج: د/عبد العلي عبد الحميد حامد، ط مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.
٣٧. شعراء عباسيون: د/ يونس أحمد السامرائي، ط عالم الكتب، بيروت، ط الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٣٨. صحيح ابن حبان البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط الثانية ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
٣٩. صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح) : محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.
٤٠. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر): مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤١. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلويّ(ت٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٣هـ
٤٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين العينى (ت٨٥٥هـ)، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٣. غريب الحديث: أبو سليمان الخطابي (ت٣٨٨هـ) تحقيق: عبد الكريم إبراهيم

الغرباوي، ط دار الفكر، دمشق ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٤٤. الفائق في غريب الحديث: الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعرفة – لبنان، ط الثانية.
٤٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢ هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ .
٤٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي، ط المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الأولى، ١٣٥٦هـ .
٤٧. كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.
٤٨. الكتاب: سيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٤٩. الكفاية في علم الرواية: الخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ) تحقيق: إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
٥٠. لسان العرب: ابن منظور(ت٧١١هـ) ، دار صادر، بيروت، الثالثة ١٤١٤هـ.
٥١. لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح: عبد الحق الدّهلوي(ت١٠٥٢هـ)، تحقيق: تقي الدين الندوي، ط دار النوادر، دمشق، سوريا، الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
٥٢. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
٥٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م .
٥٤. مجموع الفتاوى: ابن تيمية(ت:٧٢٨هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية،

المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.

٥٥. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم (ت:٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط دار الكتاب العربي – بيروت، الثالثة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٥٦. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: الملا علي القاري (ت١٠١٤هـ)، ط دار الفكر، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٥٧. المستدرك على الصحيحين: الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٥٨. مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٥٩. المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة(ت٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط مكتبة الرشد – الرياض، الأولى، ١٤٠٩.

٦٠. معاني النحو: د/ فاضل صالح السامرائي، ط شركة العاتك بالقاهرة، الثانية ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٦١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام (ت٧٦١هـ)، تحقيق: د/مازن المبارك، محمد علي حمد الله، ط دار الفكر، دمشق، السادسة، ١٩٨٥م

٦٢. المفاتيح في شرح المصابيح : الحسين بن محمود بن الحسن الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (ت٧٢٧هـ) ، ط دار النوادر، الكويت، ط الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٦٣. منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٦٤. الموافقات في أصول الشريعة: الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، ط دار ابن عفان، الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٦٥. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: الحطاب المالكي (ت٩٥٤هـ)، ط دار

الفكر، الثالثة، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
٦٦. الميسر في شرح مصابيح السنة: التُّورِبِشْتِي(ت٦٦١هـ)، تحقيق: د/عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط الثانية١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م .
٦٧. نتائج الفكر في النحو: أبو القاسم السهيلي (ت٥٨١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
٦٨. نفع قوت المغتذي على جامع الترمذي: علي بن سليمان الدمنتي البجمعوي المغربي، ط دار أضواء السلف، الرياض، السعودية ١٤٣٧هـ .
٦٩. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الفخر الرازي، ط دار صادر، بيروت ، الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١-	ملخص	٩٠٠١
٢-	Abstract	٩٠٠٢
٣-	المقدمة	٩٠٠٣
٤-	تمهيد – وفيه محوران:	٩٠٠٨
٥-	المحور الأول- المراد بحسن النسق.	٩٠٠٨
٦-	المحور الثاني- واو النسق بين الدلالة على مطلق الجمع وإفادة الترتيب.	٩٠١٠
٧-	المبحث الأول- نسق الترقي ونسق التدلي بين المعدودات الثلاثة في البيان النبوي.	٩٠١٦
٨-	المبحث الثاني – نسق الاهتمام .	٩٠٣٢
٩-	المبحث الثالث - نسق التفريع .	٩٠٤٢
١٠-	المبحث الرابع – نسق المعدودات مراعاة للطبع.	٩٠٤٨
١١-	المبحث الخامس– نسق المعدودات مراعاة للفضل والشرف.	٩٠٥٣
١٢-	الخاتمة	٩٠٥٧
١٣-	مراجع البحث	٩٠٥٩
١٤-	فهرس الموضوعات	٩٠٦٦

تم بحمد الله